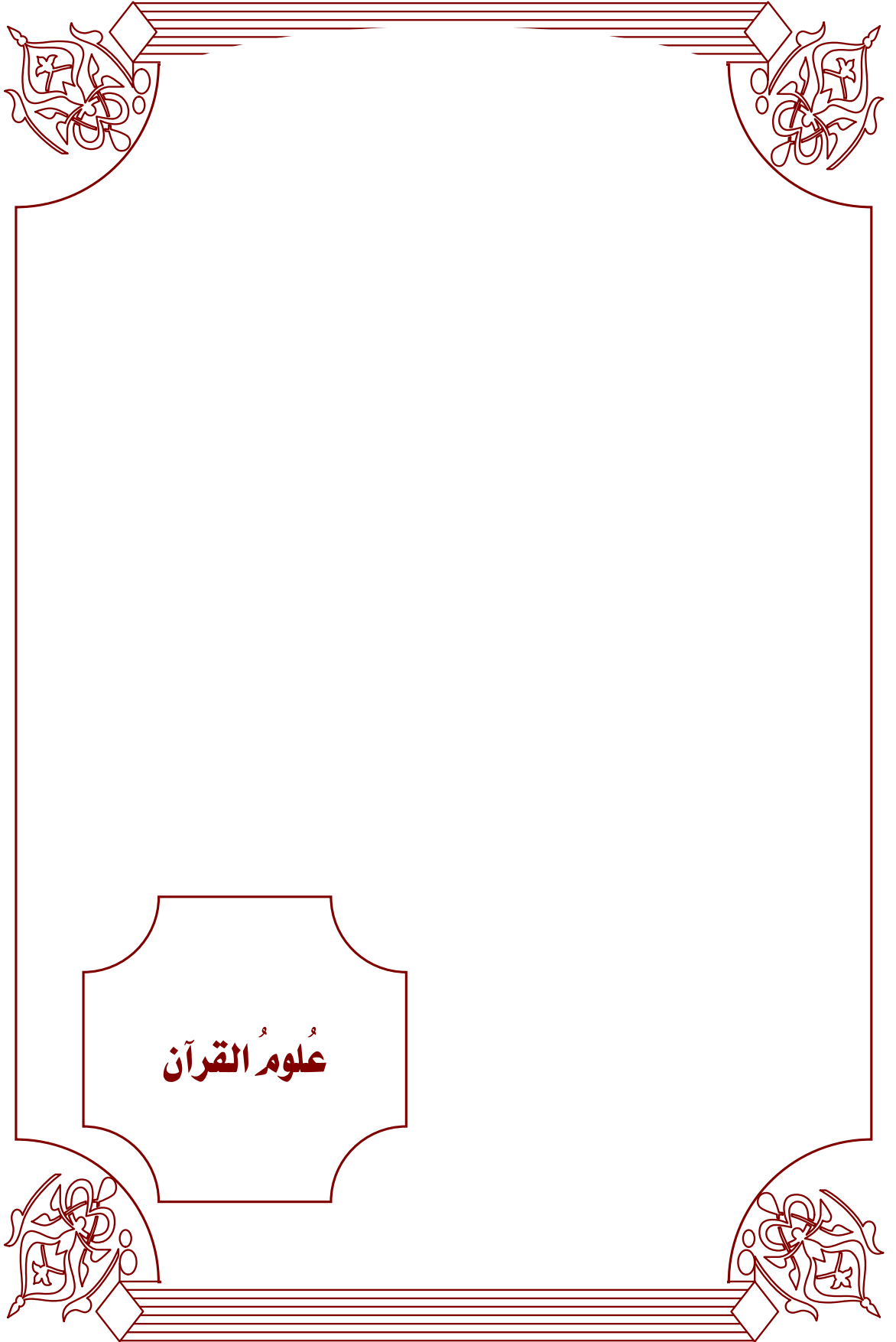


علوم القرآن

د. بشير حزام محمد المليكي



علوم القرآن





العنوان: علوم القرآن.

تأليف: د. بشير حزام محمد المليكي.

الصفحات: (113 صفحة).

الطبعة: الأولى، 1446 هـ - 2024 م.

قياس القطع: 24 × 17.

الناشر: غافق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

مفهوم الطبع محفوظة للمؤلف ©

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه أو نسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف.

الناشر



غافق للدراسات والنشر
GAFAQ for studies and publishing

اليمن - صنعاء

gafeq.s.p@gmail.com

+967 71 71 72 770

GAFAQ.S.P



782 16 12 14

عُلُومُ الْقُرْآنِ

تأليف

د. بشير حزام محمد المليكي







مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا، أنزل القرآن الكريم كاملا وشاملا، ومن أيّ تناقض أو ارتياب سالما، **قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 1]**.

والصلاة والسلام على رسول الله، بعثه الله رحمة للعالمين، وأيده بقرآنه المعجزة وكلامه المبين، ورضي الله عن أصحابه والتابعين، ومن اتبع سبيلهم، فاتبع هدي القرآن وصراطه المستقيم، إلى يوم الدين.

وبعد: فالقرآن هو كتاب الله الخالد، وحجته البالغة على الناس جميعا، ختم الله به الكتب السماوية، وأنزله هداية ورحمة للعالمين، وضمنه منهاجا كاملا وشريعة تامة لحياة المسلمين، **قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9]**.

والقرآن معجزة باقية ما بقي على الأرض حياة أو أحياء، أيد الله تعالى به رسوله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله، فكان عجز البلغاء والفصحاء قديما وحديثا أكبر دليل على سماوية هذا الكتاب وأنه كلام رب العالمين.



وفي هذا المقرر نذكر بعض مباحثه بصورة مختصرة، نسأل من الله القبول وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.





علوم القرآن مركب إضافي يتكون من كلمتين: "علوم" و "القرآن"، **والمقام يقتضي** أن نعرف كل كلمة وحدها لغة واصطلاحاً، ثم نعقب على ذلك بتعريفهما معاً مركبتين تركيباً إضافياً.

تعريف العلوم: العلوم جمع علم والعلم نقيض الجهل وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة ويراد به إدراك الشيء بحقيقته أو اليقين أو هو نور يقذفه الله في القلب.

ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة مثل علم النحو، وعلم الطب، وعلم الكيمياء.

ويجمع على "علوم" وقد تسمى به المباحث التي تتناول موضوعاً واحداً مثل: علوم العربية، والعلوم الطبيعية⁽¹⁾.

تعريف القرآن لغة: مصدر قرأ. والقرء هو الجمع، **وسمي القرآن** قرآنًا؛ لأنه جمع السور والآيات وضمها، وجمع العلوم والحكم⁽²⁾.

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم، (16)، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

(2) معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي (214)، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة:

الأولى، (1422 هـ - 2001 م).



تعريف القرآن اصطلاحاً: "كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته" (1).

تعريف علوم القرآن: هو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابه، وقراءاته، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه، وأساليبه ودفع الشبه عنه ... إلخ ذلك (2).

موضوع علوم القرآن: القرآن الكريم من حيث جمعه، وتفسيره، ورسمه، وقراءاته، ومكيه ومدنيه (3).

ثمرة علوم القرآن الكريم:

1- تيسير تفسير القرآن الكريم فهي مفتاح باب التفسير ولا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن.

2- معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم وعنايتهم الكبرى به وبعلمه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل.

3- التسليح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن هذا

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم، (21)، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

(2) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو (8)، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998 م (16).

(3) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (1403 هـ)، (27) الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الثانية، (1423 هـ - 2003 م).



الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام، ويبيث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه.

4- الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم⁽¹⁾.

فضله وشرفه ومكانته :

علوم القرآن الكريم من أفضل العلوم وأشرفها وأسمها كما قال ابن الجوزي **رَحْمَةُ اللَّهِ** "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أوفى الفهم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم"⁽²⁾.

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم (32).

(2) زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي (1 / 3).





فضل القرآن الكريم

القرآن هو كتاب الله الخالد، وحجته البالغة على الناس جميعا، ختم الله به الكتب السماوية، وأنزله هداية ورحمة للعالمين، وضمنه منهاجا كاملا وشريعة تامة لحياة المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9].

ونقتصر في بيان فضل القرآن على وصف الله تعالى، ووصف رسول الله ﷺ له، وشهادة أحد أعداء الإسلام بفضلله.

1- وصفه الله بأنه روح، والروح بها الحياة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: 52].

2- ووصفه بأنه نور، والنور به الإبصار، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ [المائدة: 15 - 16].

3- ووصفه بأنه الهادي إلى أفضل طريق إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.

4- ووصفه بأنه شفاء وارشاد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: 44].



4- وهو كتاب الحق الذي لا يعرض له الباطل قط، **قال تعالى:** ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: 105]، **وقال سبحانه:** ﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 41 - 42].

وهذا الوليد بن المغيرة، وهو كافر يظهر العداوة لرسول الله ﷺ يصف القرآن الكريم وصفا دقيقا وصادقا يشهد بفضل كلام الله وعظمته وتميزه عن كلام المخلوقين؛ **أخرج الحاكم** في المستدرک والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس **رضي الله عنهما** قال: إن الوليد بن المغيرة المخزومي، وهو أحد رؤساء قريش، جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن. فكأنه رق له، وقال: يا عجا لما يقول ابن أبي كبشة - يعني محمدا ﷺ - فوالله ما هو بشعر، ولا سحر، ولا بهمز من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله. فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا:

والله لئن صبأ الوليد لتصبون قريش. فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قريشا أنك تنكر له.

فقال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى عليه. فقال أبو جهل: والله ما يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قولا. قال: فدعني أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر



يؤثر، يآثره عن غيره. فخرج على قومه بهذا القول الآثم، **فأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدرثر: 18 - 24]**⁽¹⁾.

أهمية القرآن في حياة المسلمين:

تكمُن أهمية القرآن الكبرى فيما اشتمل عليه من هداية إلى العقائد الصحيحة، والعبادات الحقة، والأخلاق الكريمة، والتشريعات العادلة، وما اشتمل عليه من تعاليم بناء المجتمع الفاضل، وتنظيم الدولة القوية.

وإنّ المسلمين لو جدّدوا إيمانهم بأهمية هذا الكتاب الكريم، وكانوا جادّين في الالتزام والطاعة لما فيه من أوامر وتوجيهات إلهية حكيمة، فإنهم يجدون ما يحتاجون إليه من حياة روحية طاهرة، وقوة سياسية وحرية، وثروة وحضارة، ونعم لا تعدّ ولا تحصى؛ **قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]**.

وإذا أراد المسلمون الخير والصلاح والعزة لأنفسهم وأمتهم، فعليهم اتباع هدي نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه؛ لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها⁽²⁾.

(1) رواه الحاكم في المستدرک (2 / 507) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في الدلائل (2 / 198).

(2) الواضح في علوم القرآن (25).



من أسماء القرآن الكريم:

- 1 - القرآن: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77].
- 2 - الكتاب: في قوله تعالى: ﴿الْم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1].
- 3 - الذكر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].
- 4 - الفرقان: في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: 1].
- 5 - النور: في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: 8].

ومن صفات القرآن الكريم:

- 1 - المبارك: في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: 92].
- 2 - هدى، ورحمة: في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: 3].
- 3 - الكريم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77].



4- الحكيم: في قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1].

5- الفصل: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: 13] (1).

حكمة تعدد أسماء القرآن الكريم:

وقد بين العلماء رَحْمَهُمُ اللَّهُ حكمة تعدد الأسماء للقرآن الكريم فقال الفيروزآبادي رَحْمَهُمُ اللَّهُ: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته وسمو درجته وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته" (2).

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم (26).

(2) بصائر ذوي التمييز: الفيروزآبادي ج 1 ص 88.





1- **شفاعته لأهله:** من خصائص القرآن الكريم أنه يشفع لأهله يوم القيامة ومن الأدلة على ذلك حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه).

2- **إنه شفاء:** قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

3- **أنه لا يمسه إلا المطهرون:** أنزل الله القرآن بواسطة أفضل الملائكة على أفضل الأنبياء لخير أمة أخرجت للناس، فأخرجهم به من الظلمات إلى النور ومن رجس الجاهلية إلى طهارة الإسلام؛ فحق لهذا الكتاب أن يتهيأ المسلمون لتلاوته وأن يستعدوا لها بالطهارة، ليست الطهارة الصغرى كما يفهمها بعض الناس، ولكنها الطهارة الكبرى بكل معانيها.

4- **أن الله تعهد بحفظه:** قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] وقد مرت بالقرآن أحداث عظيمة وأحوال جسيمة وعوامل خطيرة وتكالب عليه الأعداء وتداعت عليه الأمم ولو مر بعض ذلك على غير القرآن لأصابه ما أصاب الكتب السابقة من



التحريف والتغيير والتبديل. أما القرآن فقد مر بهذه الأحوال المتماوجة والدواعي المتكالبة، ولم تنل منه بغيتها بل وصل إلينا كما أنزله الله لم يتبدل ولم يتغير ما طالته الأفواه النافخة، ولا نالته الأصوات اللاغية. ليتم الله نوره ولو كره الكافرون.

5- **أنه من عند الله: كما قال تعالى:** ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89].

6- **أنه كلام الله تعالى:** وهذه من أخص خصائص كتاب الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6].

7- **هيمنته على الكتب السابقة:** والمقصود بذلك: إتيان القرآن على ما في الكتب السماوية السابقة، وشهادته عليها، واحتواؤه لفضائلها ومزاياها، وزيادته على ذلك. **قال تعالى:** ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

8- **يسره للناس:** من الخصائص العظيمة للقرآن الكريم أنه ميسر لكل من يطلع عليه، يطلب وجه الحق والخير والصواب، وهذا التيسير القرآني يشمل عدة جوانب منه: كقراءته، وحفظه، واستذكاره، وتدبره، وتأمله، ومعرفة علومه، ومعانيه، وفقهه. **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].



9- **شموله للخلق أجمعين:** إن من فرائد القرآن العظيم أنه كتاب لجميع الخلق، وذلك بعكس الكتب السماوية الأخرى التي كانت خاصة لأناس معينين. أما القرآن الحكيم فهو دعوة الله للناس أجمعين، وحجته على الخلق، ورسالته لجميع البشر. **قال تعالى:** ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158] **وقال تعالى:** ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 52].

10- **تضمّنه لخيري الدنيا والآخرة:** إن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أنه قد اشتمل على ما ينفع الإنسان في دنياه، وآخرته، فما من خيرٍ إلا ودّله عليه، وما من شرٍّ إلا وحذّره منه. **قال تعالى:** ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

11- **إعجازه:** يمتاز القرآن العظيم بأنه كتاب معجز في كل شيء، وقد تحدى الله تعالى به العرب، وهم أهل اللغة، وأرباب البيان فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بأقل سورة منه، مع قدرتهم على نظم الكلام وتذوقهم له، وانفرادهم من بين الأمم بخاصية القول، وعذوبته، وجماله، وتقديرهم له، وهذا واضح في شعرهم، ونثرهم. **قال تعالى:** ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88] ⁽¹⁾.

(1) الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم، د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي (14)، دراسات في علوم القرآن الكريم (58).





في عهد الرسول ﷺ

حين نزل جبريل على الرسول ﷺ في غار حراء بصدر سورة اقرأ أنزل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وذهب إلى زوجته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأخبرها بما حدث في الغار وتلا عليها الآيات من حفظه.

وحين أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يصدع بما يؤمر، وأن يعلن الدعوة إلى الإسلام امتثل الرسول ﷺ الأمر فدعا الناس إلى الإسلام، وأقبل من أسلم منهم على القرآن الكريم يتلونه حق التلاوة ويجمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم لحفظه وتدبر آياته وكانوا عربا خلصا يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى سأل بعضهم بعضا، فقد يكون أحدهم أعلم من الآخر فإن أشكل عليهم سألوا الرسول ﷺ فبينه لهم.

وبهذا ندرك أن علوم القرآن نشأت منذ وقت مبكر في الإسلام بل منذ أشرقت شمس الإسلام؛ ذلكم أن حفظ القرآن وتلاوته وتدبره وتفسيره من أهم علوم القرآن الكريم.

في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وإذا نظرنا إلى حال الصحابة رضوان الله عليهم وجدناهم يتعلمون علوم القرآن مشافهة، ولم يعرف عندهم تدوين لعلوم القرآن.

واشتهر كثير من الصحابة بتفسير القرآن منهم الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن الزبير، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري وعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ**.

وكثر الرواية في التفسير عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

ولم يتكلف الصحابة رضوان الله عليهم التفسير ولم يخوضوا فيما لا فائدة كبيرة في تحصيله، ولم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله فبعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى بيان لمعرفة لغتهم وأحوال المجتمع وأسباب النزول وغير ذلك، وقد كانوا يهتمون بنشر علوم القرآن بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين.

في عهد التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ:

وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان المفتوحة يعلمون أهلها القرآن ويفسرون لهم معانيه، وينشرون لهم علومه ومعارفه فبذله لهم الصحابة وفتحوا لهم صدورهم وأفسحوا لهم مجالسهم؛ فنشأت ما يصح أن نطلق عليها المعنى الحديث "مدارس التفسير" وهي كثيرة وأشهرها ثلاث مدارس:



مدرسة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مكة :

وهو حبر هذه الأمة وترجمان القرآن وهو الذي دعا له الرسول ﷺ بقوله:
"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" (1).

ومن أشهر تلاميذه سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاوس، وعطاء بن أبي رباح.

ومدرسة أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمدينة :

وقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد كتاب الوحي، وإمام القراء، شهد له الرسول ﷺ بقوله:
"أقرؤهم أبي بن كعب" (2).

ومن أشهر تلاميذه زيد بن أسلم، وأبو العالية الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي.

ومدرسة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الكوفة :

وهو أول من جهر بالقرآن وأسمعه قريشاً بعد الرسول ﷺ، قال عنه الرسول ﷺ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" (3) يعني ابن مسعود وأخبر هو عن نفسه فقال: "والله لقد

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده ج 1 ص 314، 328، 335.

(2) رواه الترمذي ج 5 ص 664، 665 كتاب المناقب، وابن ماجه في سننه ج 1 ص 68.

(3) سنن ابن ماجه: ج 1 ص 63.



أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة⁽¹⁾.

ومن أشهر تلاميذه علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وقتادة بن دعامة، وعمر بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلمي.

وأهل مكة، وأهل المدينة، وأهل الكوفة هم أعلم الناس بالتفسير كما يقول ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم"⁽²⁾.

ولم يكن تفسير هؤلاء وغيرهم من الصحابة والتابعين مقتصرًا على علم التفسير بمعناه الخاص بل كان يشمل مع هذا علم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم النسخ والمنسوخ، وعلم المكي والمدني، ونحو ذلك. كما لم يكن شاملاً للقرآن الكريم، ولا مدونا، وإنما كان بالرواية والتلقين.

(1) صحيح البخاري ج 6 ص 102 باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

(2) مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عدنان زرور ص 61.





عهد التدوين

المرحلة الأولى: بذور هذا العلم منذ نشأته إلى نهاية القرن الثاني (200هـ).

كانت علوم القرآن في هذه المرحلة تتمثل في وجود روايات شفاهية يتناقلها التابعون عن الصحابة، وأتباع التابعين عن التابعين، وأتباع أتباع التابعين عن أتباع التابعين حتى يصل السند إلى قائله من هذه الطبقات الثلاث.

وكان للتدوين نصيب في هذه الفترة، فقد دونت مجموعة من كتب التفسير في هذه المرحلة، وكانت تحمل قدرا لا بأس به من أنواع علوم القرآن، كتب مفردة في نوع من أنواع علوم القرآن.

وهذه الكتابات في التفسير تشتمل في ثناياها على مسائل منشورة من أنواع علوم القرآن؛ كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وبيان الغريب، والمكي والمدني، والقراءات، وغيرها من المسائل.

وليست هذه الأنواع في هذه الكتب على تصنيف معين، بل تأتي ضمن الكلام عن تفسير الآية؛ حيث يذكر ما فيها من تفسير وبيان غريب، وذكر سبب نزول ... إلخ.

المرحلة الثانية: الجمع الجزئي لعلوم القرآن من القرن الثالث إلى ظهور كتاب «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (ت794هـ).



لقد استمرت الكتابة في التفسير، والكتابة في نوع من أنواع علوم القرآن في هذه المرحلة، وفيها كتابات كثيرة تفوق الحصر، وهو ليس مقصدا هنا، لكن يمكن التمثيل لبعضها على سبيل التذكير، فمن كتب التفسير: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري (ت 310هـ)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (ت 542هـ)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (ت 671هـ).

ومن كتب علوم القرآن المفردة: «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ت 276هـ)، و«أحكام القرآن» للطحاوي (ت 321هـ)، و«الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس (ت 338هـ)، و«التيان في إعراب القرآن» للعكبري (ت 616هـ)، والبرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت 708هـ)، وغيرها كثير جدا جدا.

المرحلة الثالثة: الجمع الكلي من كتاب «البرهان» للزركشي (ت 794هـ) إلى كتاب «الإتقان» للسيوطي (ت 911هـ).

المرحلة الرابعة: ما بعد «الإتقان» للسيوطي، بعد كتاب «الإتقان» يكاد يكون التأليف في علوم القرآن قد توقف سوى بعض كتب ظهرت إما تشقيقا لما ذكره السيوطي (ت 911هـ)⁽¹⁾.

(1) المحرر في علوم القرآن، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، (31).



الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير:

أصول التفسير ليست هي علوم القرآن.

وإذا تأملت الأمر وجدت أن التفسير جزء من علوم القرآن، بل هو أكبر علومه.

فإن كانت المعلومة - من علوم القرآن - لا أثر لها في فهم المعنى، فهي من علوم القرآن وليست من علوم التفسير؛ كمعرفة فضائل سورة الإخلاص، فإنها من علوم القرآن لكن معرفتها أو جهلها لا يؤثر في فهم المعنى.

وإن كانت من المعلومات التي تؤثر في فهم المعنى؛ كمعرفة غريب الألفاظ، فهذا من علوم التفسير، ومن علوم القرآن من باب أولى.

وإن كانت المعلومة تمثل أصلاً أو أساساً يرجع إليه لمعرفة التفسير من حيث الصحة والبطلان، ومن حيث توجيه أقوال المفسرين، فإنها تكون من أصول التفسير، ومن باب أولى أن تكون من علوم التفسير، فعلم القرآن.

وفي الختام، فإن علم أصول التفسير جزء من علوم التفسير، وعلوم التفسير جزء من علوم القرآن⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق (51).



الفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي

1- أن القرآن معجزة تحدّى الله به الإنس والجن، والحديث القدسي ليس كذلك.

2- أن القرآن الكريم متعبّد بتلاوته، والحديث القدسي ليس كذلك.

3- القرآن متواتر، نقله الجمع الغفير ممّن بلغ الغاية في العدالة والضبط عن مثلهم، إلى النبي ﷺ، والحديث القدسي منه الصحيح ومنه الحسن، ومنه الضعيف.

4- لا تجوز رواية القرآن بالمعنى، بخلاف الحديث القدسي، فإنه يجوز أن يروى بمعناه، بشرط أن يكون الراوي محيطاً بالمعاني، فقيهاً بمباني الألفاظ واشتقاقها.

5- لا يجوز للجنب قراءة القرآن ولا مسّ المصحف، ويجوز له قراءة الحديث القدسي ومسّ الكتاب الذي يحتويه.

6- أن الله تكفل بحفظ القرآن، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. فلا يضيع حرف من حروفه حتى يأتي أمر الله.

بخلاف الحديث القدسي، فإنه قد يبدل لفظ من ألفاظه، أو ينسى بعضه بمرور الزمان، وذهاب الحافظين⁽¹⁾.

(1) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (المتوفى: 1426هـ)، (21)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية (1419هـ-1999م).





الوحي:

نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقرآن على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غار حراء، وكان ذلك أول بدءٍ للوحي بنزول القرآن الكريم، لذا كان الحديث عن الوحي ونزول القرآن متلازمين لا ينفكان، **فمن ذلك:**

- 1 - أن يلقي كلامه على النبي بكيفية غير معتادة فيعيه.
- 2 - أن يكلمه مباشرة من وراء حجاب، فلا يرى النبي ربه، لكن يسمع كلامه، كما في معراجِه، حيث أخذ الأمر بالصلاة عن ربه مباشرة.
- 3 - أن يرسل رسولا من الملائكة، وغالبًا ما يكون المرسل جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إن كان الأمر يتعلق بالنبوة والشرعة، وقد يرسل غيره لأُمور أخرى، كما هو وارد في الآثار.

والوحي الذي يُنزلُه الله بواسطة الملك جبريل على نبي من أنبيائه هو الغالب على الوحي إلى الأنبياء، فنُزِلَ الملك جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** على أحد من البشر إِيذانٌ ببدء الوحي ⁽¹⁾.

(1) المحرر في علوم القرآن، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (61)، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، (1429 هـ - 2008 م).





أنواع الوحي

لو تتبعنا استعمالات الوحي في القرآن والسنة لظهر سوى هذه الأنواع المذكورة من الوحي، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

الأول: الوحي إلى الأنبياء بأي نوع من أنواع الوحي غير الصريح؛ كالإلهام أو الإلقاء في الروح، **والمنام في مثل قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]، بدلالة رد ابنه إسماعيل **عَلَيْهِ السَّلَام** عليه بقوله: افعل ما تؤمر، فهو وحي.

الثاني: وحي الله لغير أنبيائه من البشر؛ كوحيه لأم موسى، في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصاص: 7].

الثالث: وحي الله لملائكته، كما وقع في قصة بدر، في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

الرابع: وحي الله لبعض مخلوقاته غير العاقلة، كوحيه للنحل، في قوله



تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68]، **ووحىه إلى السماء في قوله تعالى:** ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 12]، **ووحىه للأرض في قوله تعالى:** ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: 5] ⁽¹⁾.

(1) المحرر في علوم القرآن (68).





نزل القرآن

كان نزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على رسول الله ﷺ في غار حراء مؤذن ببداية النبوة، وقد نزل بالآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5].

وقد أشارت ثلاث آيات إلى بداية النزول، وذلك قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: 3-4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]، وهذه الآيات في ظاهرها تشير إلى أول نزول للقرآن على رسول الله ﷺ، وأنه كان في ليلة القدر من شهر رمضان، وهذا النزول على الرسول ﷺ هو الذي يتعلق به هداية الناس في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185].

النزول الجملي:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1].

أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، كان بموقع النجوم،



فكان الله ينزله على رسول الله ﷺ بعضه في إثر بعض، **قال عز وجل:** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32].

النزول الجملي من المغيبات، فإنه يخرج عن السؤالات التكييفية، فالبحث في كيفية هذا النازل، وفي أحواله من ترتيبه وكيفية تدوينه، أو القول بنزول آيات فيه لم يقع مضمونها؛ كل هذا من اقتحام كفيات الغيبات، وهو من المتشابه الكلي الذي لا يعلمه إلا الله، ولو رد مثل هذا بهذه الحجة لوقع الرد لبعض الغيبات بمثلها، وذلك مما لا مجال للعقل فيه، فيؤمن به، ويسلم له.

النزول المفرق:

القرآن جزء من الوحي الذي كان ينزل على رسول الله ﷺ، وكان من حكمة الله الخبير الموافقة لمواقع الأمور أن يجعل بعض القرآن متوافقا في نزوله مع ما يحدث في أيام نبيه محمد ﷺ، بحيث يكون فيه حل لإشكالات تقع، وإرشاد في مسائل تحدث، وتثبيت لقلب النبي ﷺ في قضاء وقع ...

النزول السنوي:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1].

يعني القرآن: أنزله الله عز وجل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى السفرة - وهم الكتبة من الملائكة - وكان ينزل تلك الليلة من الوحي على قدر ما



ينزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على النبي ﷺ في السنة كلها إلى مثلها من قابل.

ومن فوائد تنجيئه ما يأتي :

1 - **تثبيت فؤاد الرسول ﷺ** بسبب ما يلاقيه من عنت المشركين، فينزل القرآن عليه ليهبه ذلك التنزل طمأنينة وثباتاً، **كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾** [الفرقان: 32].

2 - **مواكبة الحوادث والمسائل التي تقع في عصر النبوة**، إذ كان الوحي ينزل بشأنها؛ إما قرآن، وإما غير ذلك، تلك الحوادث والمسائل هي أسباب النزول التي صارت علماً مهماً لمن أراد أن يفسر القرآن.

3 - **التدرج في التشريع وبيان الأحكام والحدود**، فالشريعة لم تنزل جملة واحدة على رسول الله ﷺ، بل كان ينزل منها الشيء بعد الشيء من تفاصيل الأحكام والحدود حتى اكتملت الشريعة وتم الدين⁽¹⁾.

أول ما نزل من القرآن :

لم يقع خلاف بين العلماء في أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق هو أول خمس آيات من سورة العلق، فقد ثبت ذلك بالدليل الصريح، **فعن عائشة زوج النبي ﷺ** قالت: (كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في

(1) المحرر في علوم القرآن (79).



النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء، فيتحنث فيه - قال والتحنث: التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثله، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ.

فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ.

قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: «أي خديجة، ما لي؟ لقد خشيت على نفسي». فأخبرها الخبر.

قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل - وهو ابن عم خديجة أخي



أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي - فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك.

قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟

فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى.

فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى. ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا - ذكر حرفا..

قال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟».

قال ورقة: نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا أودي، وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ.

وهذا صريح في أن أول نزول للقرآن كان في غار حراء، وأن أول ما نزل منه هذه الآيات الخمس من أول سورة العلق.

بيد أنه ورد عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خلاف ذلك، حيث جعل سورة المدثر أول ما نزل.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت



رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجثيت منه رعباً، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ).

ويمكن الجمع بينهما:

1- أن يكون السؤال وقع عن أول سورة كاملة، فأجاب جابر رضي الله عنه بأنها سورة المدثر.

2- أن تكون الأولية مخصوصة؛ إما بما بعد فترة الوحي، وإما بالأمر بالإنذار⁽¹⁾.

3- أن أول ما نزل للنبوة سورة اقرأ وللرسالة سورة المدثر.

أن المدثر أول سورة كمل نزولها أي أن باقية نزل قبل نزول بقية سورة اقرأ وغيرها⁽²⁾.

(1) المحرر في علوم القرآن (79).

(2) دراسات في علوم القرآن الكريم (230).





نزل القرآن على سبعة أحرف

هذا مبحث طريف وشائق غير أنه مخيف وشائك. أما طرافته وشوقه فلأنه يرينا مظهرا من مظاهر رحمة الله وتخفيفه على عباده وتيسيره لكتابه على كافة القبائل العربية بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية من كل جيل وقبيل حتى ينطقوا به لينة ألسنتهم سهلة لهجاتهم برغم ما بينهم من اختلاف في اللغات وتنوع في الخصائص والميزات.

وأما مخافة هذا المبحث وشوكة فلأنه كثر فيه القيل والقال إلى حد كاد يطمس أنوار الحقيقة حتى استعصى فهمه على بعض العلماء ولاذ بالفرار منه⁽¹⁾.

المراد بالأحرف السبعة:

سبعة أوجه من التغيير تطرأ على الكلمات القرآنية⁽²⁾.

أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:

1 - عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: "سمعت عمر بن الخطاب

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (1/ 166).

(2) إحكام الأحكام في تجويد القرآن (48).



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها.

فقال لي: "أرسله". ثم قال له: اقرأ. فقرأ. قال: "هكذا أنزلت".

ثم قال لي: اقرأ. فقرأت، فقال: هكذا أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا منه ما تيسر" (1).

2- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثه أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (2).

المراد بالأحرف السبعة:

القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بالفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر.

القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل

(1) أخرجه البخاري برقم (2419).

(2) أخرجه البخاري برقم (4991).



عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم.

القول الثالث: أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة من الأمر والنهي والوعد والوعيد، والجدل والقصص، والمثل، أو من الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال" (1).

القول الرابع: ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد، فلفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة والكمال في الأحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمئة في المئات، ولا يراد العدد المعين.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع وهناك أقوال كثيرة وقد رجح كثير من العلماء القول الأول في أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، ممن رجح هذا القول كبير المفسرين ابن جرير الطبري وإليه ذهب سفيان بن عيينة، وابن وهب وخلائق، ونسبه ابن

(1) أخرجه الحاكم والبيهقي، وابن جرير 1/ 69 بمعناه.



عبد البر لأكثر العلماء⁽¹⁾.

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

1- التيسير على الأمة والرحمة بهم، فلو نزل القرآن على حرف واحد لشق ذلك على الأمة العربية؛ فقد كانت متعددة اللغات واللهجات، وما يتسهل النطق به على البعض لا يسهل على البعض الآخر، وكانت تغلب عليها الأمية، فلا عجب أن حرص النبي ﷺ على الاستزادة من الحروف حتى بلغت سبعة أحرف.

2- تحقيق انتشار الدعوة الإسلامية، وذلك أن انتشار الدعوة الإسلامية مرتبط بانتشار القرآن الكريم، ونشره مرتبط بتمكنهم وقدرتهم على تلاوته، وهذه تكون بمراعاة لغاتهم وألسنتهم وقد كان ذلك بإنزال القرآن على سبعة أحرف.

3- الدلالة على مصدر القرآن وأنه وحي من الله تعالى، وذلك أن تعدد القراءات وتعدد الأحرف واتساق بعضها مع بعض وترباطها، من غير اختلاف فضلاً عن التضاد أو التنافي، يدل على أنه من حكيم خبير ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽²⁾.

(1) مباحث في علوم القرآن (1/ 162)، نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به، الدكتور محمد عمر حويه (1/ 44).

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه (171)، دراسات في علوم القرآن الكريم (398).





المكي والمدني مصطلحان مرتبطان بالمكان والزمان، وعليهما وقعت عبارات العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وكان للسلف عناية خاصة بمكان نزول القرآن.

اختلف العلماء في المراد بالمكي والمدني ومتى تسمى السورة أو الآية مكية أو مدنية إلى ثلاثة أقوال:

ويرجع اختلافهم إلى المعتبر في النزول، فمنهم من اعتبر مكان النزول، ومنهم من اعتبر زمن النزول، ومنهم من اعتبر المخاطبين بالآيات أو السورة، **وعلى هذا:**

1- طائفة اعتبرت مكان النزول فقالت: ما نزل في مكة وما حولها ولو بعد الهجرة، فهو مكي، وما نزل في المدينة وما حولها، فهو مدني.

وهذا القول غير ضابط ولا حاصر؛ إذ إنه لا يشمل ما نزل من الآيات في غير مكة والمدينة وما حولهما، فقد نزلت آيات قرآنية في تبوك وفي بيت المقدس وفي الطائف، فالتعريف غير ضابط.

2- طائفة اعتبرت **المخاطب بالآية أو السورة** وهذه الطائفة نظرت إلى أهل



مكة وقت التنزيل، فوجدت أن الغالب على أهلها الكفر والمناسب لمخاطبتهم النداء بـ "يا أيها الناس" أو "يا بني آدم" وبما أن الغالب على أهل المدينة هو الإيمان، فإن المناسب نداؤهم بـ "يا أيها الذين آمنوا"، وعلى هذا فالمكي عندهم ما كان فيه "يا أيها الناس" أو "يا بني آدم" والمدني ما كان فيه "يا أيها الذين آمنوا".

3- طائفة اعتبرت الزمان ورأت أن الهجرة هي الحد الفاصل بين المكي والمدني، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة قالوا: "وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي".

وهذا التعريف ضابط وحاصر لا تخرج عنه آية من آيات القرآن الكريم.

ضوابط السور المكية:

1- كل سورة فيها "كلا" فهي مكية. وردت في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن، قال الشيخ الدريني رَحِمَهُ اللهُ:

وما نزلت كلا يشرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى وحكمة ذلك أن كلا للردع والزجر، وهذا إنما يكون للمعانند المستكبر فهو مناسب لمخاطبة المشركين في مكة.

2- كل سورة فيها سجدة تلاوة فهي مكية. وهي أربع عشرة سجدة هي الأعراف والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، وفي الحج سجدتان، والفرقان،



والنمل، والسجدة، وفصلت، والنجم، والانشقاق، واقرأ باسم ربك، وأما سورة "ص" فيستحب السجود، وليست من عزائم السجود وزاد بعضهم آخر الحجر 3 وفي الرعد خلاف.

3- كل سورة مبدوءة بقسم وهي خمس عشرة سورة هي الصفات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، العصر.

4- كل سورة مفتوحة بأحرف التهجي، مثل "الم" "حم" وغيرها سوى البقرة وآل عمران، فإنها مدنيتان بالإجماع وفي الرعد خلاف.

5- كل سورة فيها يأياها الناس وليست فيها يأياها الذين آمنوا فهي مكية إلا سورة الحج فإنها مكية مع أن في آخرها يأياها الذين آمنوا.

6- كل سورة مفتوحة بـ "الحمد" فهي مكية وهي خمس سور.

7- كل سورة فيها قصص الأنبياء ما عدا البقرة.

مميزات السور المكية :

من المعلوم أن ما نزل من القرآن في مكة كان يخاطب مجتمعا وثنيا فشأ فيه الشرك، وانتشرت فيه الأصنام، ولم يتلق الدعوة الإسلامية بالقبول والتسليم، بل أخذ يناوئها العداء، ويضطهد أتباعها، ويحارب رسولها.

وفي المدينة كان القرآن الكريم غالبا يخاطب أتباعه المؤمنين يأمرهم فينقادون إليه، وينهاهم فينتهون عما نهى عنه.



وإذا كان الأمر كذلك فلا شك أن البلاغة تقتضي الاختلاف في الأسلوب والاختلاف في المعاني والموضوعات بين ما نزل في مكة، وما نزل في المدينة، فمن مميزات السور المكية.

1- تأسيس العقيدة الإسلامية في النفوس بالدعوة إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالة محمد ﷺ وباليوم الآخر، وإبطال المعتقدات الوثنية الجاهلية وعبادة غير الله وإيراد الحجج والبراهين على ذلك.

2- تشريع أصول العبادات والمعاملات والآداب والفضائل العامة ففي مكة فرضت الصلوات الخمس مثلاً وحرم أكل مال اليتيم ظلماً، كما حرم الكبر والخيلاء ونحوها.

3- الاهتمام بتفصيل قصص الأنبياء والأمم السابقة، وبيان ما دعا إليه الأنبياء السابقون من عقائد، ومواقف أمهم منهم وما نزل بالمكذابين من عذاب دنيوي جزاء تكذيبهم وإيراد الحوار بين الأنبياء وخصومهم وإبطال حججهم بما يوحى إلى أهل مكة بوجوب أخذ العبرة من هؤلاء وفي هذا بسط أيضاً للعقيدة الإسلامية الصحيحة.

4- قصر السور الآيات مع قوة جرس الألفاظ ووقعها. وإيجاز العبارة مع بلاغة المعنى ووفائه، وذلك أن القوم في مكة كانوا معاندين مستكبرين لا يريدون سماع القرآن، بل كانوا إذا شرع الرسول ﷺ في القراءة يتنادون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26].



ولا يناسب هذا المقام طول الآيات والمقاطع، بل يناسبه إيجازها وقوة معانيها.

ضوابط السور المدنية:

1- كل سورة فيها يأيها الذين آمنوا وليس فيها يأيها الناس فهي مدنية، قال السيوطي عن علقمة عن عبد الله يعني ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** "قال: ما كان يأيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان يأيها الناس فبمكة.. ثم قال: قال ابن عطية وابن الفرس وغيرهما: هو في يأيها الذين آمنوا صحيح، وأما يأيها الناس فقد يأتي في المدني".

2- كل سورة فيها ذكر للمنافقين قال مكّي بن أبي طالب القيسي: "كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية وزاد غيره سوى العنكبوت".

والصحيح أن أول العنكبوت الذي ورد فيه ذكر المنافقين مدني لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها.

3- كل سورة ورد فيها حد أو بيان فريضة، قال عروة بن الزبير: "ما كان من حد أو فريضة فإنه أنزل بالمدينة". وقال محمد بن السائب الكلبي: "كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية".

مميزات السور المدنية:

1- يخاطب القرآن في المدينة -غالبا- مجتمعا إسلاميا فكان الغالب تقرير



الأحكام التشريعية للعبادات والمعاملات والحدود والفرائض، وأحكام الجهاد وغيرها.

2- نشأ في المجتمع المدني طائفة من المنافقين فتحدث القرآن الكريم عن طبائعهم وهتك أستارهم، وبين خطرهم على الإسلام والمسلمين وكشف عن وسائلهم ومكائدهم وخباياهم ومخططاتهم للكيد للمسلمين، ولم يكن في مكة نفاق لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين فكان الكفار يحاربونهم جهاراً.

3- عاش بين المسلمين في المدينة طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود، وكانوا يمكرون مكرًا سيئاً، ويكيدون للإسلام وأهله فكشف القرآن في المدينة سرائرهم وأبطل عقائدهم، وكشف تحريفهم لديانتهم، وبين بطلان عقائدهم، ودعاهم إلى الإسلام بالحجة والدليل والبرهان.

4- الغالب على الآيات والصور المدنية طول المقاطع والصور لبسط العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية، فقد كان أهل المدينة مسلمين يقبلون على سماع القرآن، وينصتون حتى كأن على رؤوسهم الطير، فالمقام ليس مقارعة ولجاجة يناسبه الإيجاز بل المقام مقام إقبال وإنصات وإذعان يناسبه الاسترسال والإطناب.

فوائد معرفة المكي والمدني:

- 1-** تمييز الناسخ من المنسوخ فإن المتأخر ناسخ للمتقدم.
- 2-** الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم، فإن معرفة مكان النزول يعين على



فهم المراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها وما يرد فيها من إشارات أحيانا.

3- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه في التكليف ويترتب على هذا الإيمان بأن هذا التدرج لا يكون إلا من عليم خبير، عزيز حكيم، رحمن رحيم.

4- الاستفادة من أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى فهو أسلوب يشتد ويلين ويفصل ويجمل، ويعد ويتوعد، ويرغب ويرهب، ويوجز ويطنب حسب أحوال المخاطبين، وهذا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم.

5- استخراج سيرة الرسول ﷺ وذلك بمتابعة أحواله في مكة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها واقتداء الدعاة بهذا المنهج النبوي الحكيم في الدعوة.

وقد عني بعض المؤرخين بهذا الجانب فوضعوا المؤلفات في سيرة النبي ﷺ على ضوء القرآن الكريم.

6- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حتى إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني بل تتبعوا مكان نزوله ومعرفة ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالليل وما نزل بالنهار وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء ويتبع هذا الاقتداء بهم في دراسة القرآن وعلومه⁽¹⁾.

(1) المحرر في علوم القرآن (112)، دراسات في علوم القرآن الكريم (58).





لقد مر جمع القرآن بثلاث مراحل، فجمع باعتبار حفظه، وجمع باعتبار كتابته، وجمع باعتبار تسجيل صوت قارئه، وكلها جعلها الله أسباباً لحفظ كتابه.

أما المرحلة الأولى: فإن النبي ﷺ كان القرآن في قلبه يحفظه، ويقرأ به آناء الليل وأطراف النهار، ويصلي به الليل، ويقرأه على أصحابه، ويتلوه على المنبر، ويشجع أصحابه على حفظه عبر طرق متعددة، فيعطي الراية لمن هو حافظ للقرآن، وفي القبور كان يقدم من هو أكثر قرآنًا، وفي صدور المحاربين يقدم أقرأهم لكتاب الله، ويزوج أحيانًا بمهر القرآن، وهذه كلها طرق اتبعها النبي ﷺ ليعلم الناس كلام ربهم جل وعلا، فاستجاب الصحابة في ذلك للنبي ﷺ، فظهر فيهم قراء يتقنون القرآن، كمثل أبي بن كعب وتميم بن أوس الداري وزيد بن ثابت، والخلفاء الأربعة وغيرهم من الأئمة وأفاضل الصحابة.

وهذا التشجيع كان النبي ﷺ يعلنه، فقد قال في حق أبي موسى الأشعري: (لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود) يشجعه على قراءة القرآن، ومر على سالم مولى أبي حذيفة وهو يقرأ القرآن فقال: (الحمد لله الذي جعل في أمي مثلك)، وأمر ﷺ عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه القرآن فقال:

كيف اقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟! قال: (إني أحب أن أسمع من غيري) فقرأ عبد الله بن مسعود بعضاً من سورة النساء على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان عليه السلام يقول: (إني لأعرف منازل الأشعرين - أهل اليمن - من قراءتهم للقرآن في الليل، وإن كنت لا أعرف أين نزلوا في النهار)؛ لأنهم كانوا يقرءون القرآن بصوت عال.

فهذا كله جعل الصحابة يحفظون القرآن والحفظ للقرآن جاء في وصف الصحابة في الكتب المتقدمة في التوراة والإنجيل، حيث جاء فيها أن أناجيلهم في صدورهم، وقد قال الله جل وعلا: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وكان القرآن يكتب، ولكن مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن مكتوب مفرقاً، بمعنى أنه لا يوجد لوح مكتوب فيه القرآن كله

المرحلة الثانية: باعتبار كتابته نقول: أن القرآن جمع ثلاث مرات:

الجمع الأول كتب كله في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتب السور بل كان مفرقاً في العصب واللخاف والرقاع والإقتاب ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ **العصب** بضم فسكون وبضمتين أيضاً جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، **واللخاف** بكسر اللام جمع لخفة بفتح فسكون وتجمع أيضاً على لخف بضمتين وهي صفائح الحجارة الرقاق، **والرقاع** بالكسر جمع رقعة بالضم وهي القطعة من النسيج أو الجلد، **والإقتاب** جمع قتب بفتحيتين وهو رحل البعير.



ونحوها مع كونه محفوظا في الصدور - فقد روي الحاكم في المستدرک عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع الحديث - وعنه أيضا قال كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملئ على فإذا فرغت قال اقرأه فأقرؤه فان كان فيه سقط أقامه وروى البخاري عن البراء قال لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: 95]، قال النبي ﷺ: (ادع لي زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة، ثم قال أكتب لا يستوي القاعدون...) الحديث.

وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن)، **قال الحارث المحاسبی** في كتاب فهم السنن كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه كان يأمر بكتابتها ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، وعدم جمعه في مجلد في حياته عليه الصلاة والسلام كان لأمرين، الأول: الأمن فيه من وقوع خلاف بين الصحابة لوجوده ﷺ بين أظهرهم الثاني: خوف نسخ شيء منه بوحى قرآن بدله، ففي الإتيان قال الخطابي إنما لم يجمع ﷺ القرآن في مصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة.

الجمع الثاني: جمع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روى البخاري في صحيحه أن زيد ابن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن



الخطاب عنده قال أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم الإمامة⁽¹⁾ بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فتتبع القرآن فاجمعه فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني من جمع القرآن⁽²⁾ قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع

(1) استحر القتل أي اشتد واليماامة واقعة جهة نجد وكانت مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وقد قتل في هذه الواقعة وابتدأت غزوتها في أواخر عام الحادي عشر وانتهت في ربيع الأول عام الثاني عشر للهجرة وفيها قتل من القراء سبعون قارئاً من الصحابة وقيل سبعمائة وقد قتل منهم مثل هذا العدد في بئر معونة قرب المدينة في عهد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولا يخفى أن قتل مثل هذا العدد من القراء ليس بقليل خصوصاً والكتابة ما كانت منتشرة عندهم حتى يرجعوا إلى ما كتبوه بل كان اعتمادهم على ما في صدورهم.

(2) استثقاله لهذا الأمر لم يكن من جهة ما يحصل له من المشقة والتعب وإنما كان خوفاً من إقدامه على أمر لم يفعله رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولم يأمر به فلما ظهرت له المصلحة في ذلك أقدم عليه بهمة ونشاط.



احد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(ويسأل بعضهم) لماذا لم يأمر أبو بكر أو عمر أن ينسخ الناس مصاحف مما كتبه زيد بن ثابت ولماذا لم يحرص كبار الصحابة على أن يكون لدي كل واحد منهم أو لدى بعضهم على الأقل نسخ من هذه الصحف التي تتضمن كتاب الله.

(فنقول) أن أبا بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لم يجمع القرآن لحدوث خلل في قراءته وإنما جمعه خوفاً من ذهاب حملته بقتلهم في الغزوات وكان جمعه له بالأحرف السبعة والناس يقرؤون بها إلى زمن عثمان فلا يختلف مصحف أبي بكر عما يقرؤه الناس ويحفظونه فلا داعي إذا لحمل الناس على مصحفه.

الجمع الثالث: جمع عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ولم ينقل انه كتب بيده مصحفاً وإنما أمر بجمعه وكتابته على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن فلذلك ينسب إليه ويقال: "المصحف العثماني" وسببه كما في البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف



نسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق⁽¹⁾.

وأما الجمع الثالث فهو الجمع التسجيلي وهو تسجيل الصوت، وهذا الجمع لم يكن في القرون المفضلة ولم يكن فيما بعدها لعدم وجود آلة تسجيل، وإنما تبنته جمعية خيرية في مصر عام 1379 من الهجرة في القاهرة بمشورة من رجل فوافقه علماء عصره، ولم تكن آلات التسجيل كما هي في عصرنا هذا، وكان أول رجل سجل له القرآن الشيخ محمود خليل الحصري **رَحِمَهُ اللهُ**، فسجل القرآن بصوته.

ثم تبنت بعد ذلك عدة مؤسسات علمية جمع القرآن صوتياً تختلف في قوتها، وآخرها مجمع الملك فهد المعروف في المدينة المنورة، وقد سُجِّل فيه القرآن بصوت الشيخ علي الحذيفي والشيخ إبراهيم الأخضر .

(1) تاريخ القرآن الكريم، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي الخطاط (المتوفى: 1400هـ)، (20).





تعريف سبب النزول :

هو "ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه" كحادثة تقع حين نزول القرآن الكريم فتنزل آية أو آيات من القرآن تبين الحكم فيها أو كسؤال يوجه إلى الرسول ﷺ فتنزل آية أو آيات من القرآن الكريم وفيها الإجابة عليه.

طريق معرفة سبب النزول :

سبب النزول حادثة من أحداث التاريخ الواقعة في عهد الرسول ﷺ ولهذا فلا طريق لمعرفته إلا طريق الرواية الصحيحة عمن شاهده وحضره ولا يمكن الاجتهاد في معرفة ذلك، بل لا يجوز لأنه من القول في القرآن بغير علم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

وقال ﷺ: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" رواه الترمذي. وقال هذا حديث حسن.

فوائد معرفة سبب النزول :

1- **معرفة حكمة التشريع**. وأنه قام على رعاية مصلحة الأمة ودفع الضرر عنها وجلب الخير لها والرحمة بها.

2- **معرفة سبب النزول** يعين على فهم المراد بالآية وتفسيرها التفسير



الصحيح ودفع اللبس والإشكال عن معناها.

3- **تيسير الحفظ وتسهيل الفهم** وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية، إذا عرف سبب نزولها لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل ذلك من دواعي ثبوت المعلومات في الذهن وسهولة استذكارها عند تذكر بعضها.

4- **معرفة من نزلت فيه الآية بعينه** حتى لا يبرأ المتهم أو يتهم البريء وحتى لا يزعم أحد أن المراد بالذم في تلك الآية فلان من الصحابة وهو بريء، أو ينسب إلى آخر صفات مدح في آية، والمراد بها غيره.

5- **تخصيص الحكم** بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

6- **كشف وجه من وجوه بلاغة القرآن الكريم** حيث مراعاة الكلام لمقتضى الحال وذلك بالمطابقة والمقارنة بين الحادثة والنص القرآني الذي نزل فيها.

7- **التعرف على الاسم** الذي نزلت فيه وتعيين المبهم فيها⁽¹⁾.

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم (135).





جرت سنة الله تعالى أن يظهر على يد كل نبي من أنبيائه معجزة يظهر بها على قومه وتكون دليلا على صدقه في أنه مرسل من الله تعالى.

وقد كانت معجزة كل نبي من جنس ما برع فيه قومه حتى يكون تحديه لهم فيما يعرفون وفيما يتقنون ليكون التحدي أعظم وأشد.

فجاءت معجزة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى وهي من جنس ما برع فيه قومه وهو الطب وإن لم تكن طباً.

وجاءت معجزة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ العصا واليد وغيرهما وهي من جنس ما برع فيه قوم فرعون وهو السحر وإن لم تكن سحراً.

وجاءت معجزة محمد ﷺ وقد تفوق قومه في البيان والفصاحة والبلاغة فجاءت معجزته ﷺ من جنس ما برع فيه قومه فأنزل الله القرآن وأعجزهم ولم يستطيعوا الإتيان بمثله أو بعضه.

وقد بين العلماء هذا العجز عن الإنسان بمثل هذا القرآن بدراسة نصوص التحدي وإثبات العجز وما يتعلق بذلك كله في هذا المبحث "إعجاز القرآن" بل تجاوز ذلك إلى أن أصبح هذا الإعجاز علماً مستقلاً.



تعريف المعجزة، لغة:

العجز بمعنى: الضعف تقول "عجزت عن كذا، أعجز أي ضعفت عنه، والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور.

العجز بمعنى: مؤخر الشيء والجمع أعجاز.

المعجزة في الاصطلاح: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهداً على صدقه.

شروط المعجزة:

- 1- أن تكون من الأمور الخارقة للعادة.
- 2- أن يكون الأمر الخارق للعادة من الله.
- 3- سلامتها من المعارضة بالإتيان بمثلها.
- 4- أن تقع وفق مقتضى قول صاحبها: فلا تقع على خلاف قوله. فإذا جاءت على خلاف قوله لم تصلح دليلاً على دعواه، ولا دليل على صدقه لمخالفتها لمقتضى كلامه كما حدث لأدعياء النبوة.
- 5- أن تقترن بالتحدي عند وقوعها: وذلك لأمرين: أولهما: إثبات عجز المخاطبين عن الإتيان بمثلها وثانيهما: إقامة الحجة عليهم عند عجزهم.
- 6- أن يستدل بها النبي على صدقه في رسالته: إذ الغرض من إظهارها إثبات أمرين: أولهما أنه صادق في دعوى الرسالة. ثانيهما: أنه مرسل من الله لا من غيره، فينبغي أن يكون إظهارها لإثبات ذلك لا لغيره دونهما.



7- أن يكون ظهور المعجزة أو المعجزات بعد دعوى الرسالة: حتى يصح الاستشهاد بها، أما إذا تقدم وقوع الأمر الخارق على دعوى الرسالة فإنه لا يسمى معجزة وإنما يسمى "إرهاص" كتظليل السحابة للرسول ﷺ وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة.

جواز وقوع المعجزة: لا يشك مؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون كله صغيره وكبيره ومدبر شئونه، وموجد نظامه، والذي يوجد الشيء من عدم أقدر على تغيير سنة من سننه أو نظام من أنظمته بل أقدر على إعادة خلقه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 97-98].

فالذي جعل النار حارة في قدرته أن يجعلها باردة، والذي خلق القمر قادر على أن يقسمه إلى نصفين، والذي خلق في السم خاصية قادر على سلبها منه، والذي خلق الثعبان من عدم قادر على خلقه من العصا، وهكذا في بقية المعجزات. ومن ينكر هذا فقد أساء الظن بربه وقدرته واعتقد ربوبية إله عاجز عياداً بالله تعالى.

المراد بإعجاز القرآن الكريم:

هو: عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث.



مقدار المعجزة من القرآن الكريم:

القول الأول: أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه وهذا القول مردود بالآيات التي تتحدى عشر سور وبسورة واحدة أو حديث مثله.

القول الثاني: أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة وهذا رأي الجمهور، **وزاد بعضهم** أنه يتعلق أيضًا بقدر سورة تامة من الكلام بحيث يظهر به تفاضل قوى البلاغة، وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر ثلاث آيات فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجز.

القول الثالث: أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: 34] والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار كما مر بنا بيانه، وهذا هو ما نرجحه، والله أعلم.

استمرار التحدي بالقرآن الكريم:

والتحدي في القرآن الكريم ليس خاصًا بأمة دون أمة أو عصر دون عصر بل هو باق ما بقى القرآن يعلن للناس تحديه فقله عز شأنه: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ...﴾ الآية [الإسراء: 88]. عام يشمل جميع الإنس في جميع العصور.

ولأن القرآن خاتم الكتب والرسول ﷺ خاتم الرسل والإسلام خاتم الأديان، فقد اقتضت الحكمة بقاء المعجزة لتكون شاهدة على كل جيل كما هي شاهدة على الجيل الأول.



ولئن عجز الجيل الأول وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل البيان والبديع عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بعضها أو مجرد محاولة ذلك لعلمهم سلفاً بعجزهم عن ذلك فإن من بعدهم أعجز وأبعد عن الاستطاعة، فالإعجاز مستمر والتحدي قائم إلى يوم القيامة.

أنواع الإعجاز في القرآن:

النوع الأول: الإعجاز اللغوي:

هذا النوع هو أبرز ما تحدى به القرآن العرب في حياة النبي ﷺ، وهو التحدي في أبرز خصائصهم، فمع أنه بلسانهم، وأتى بما لا يخرج عن وجوه فصاحتهم وأساليب بيانهم، وهم يومئذ في الذروة في ذلك نثراً ونظماً، لكنهم عجزوا عن معارضته ولو بسورة من مثله، فصاروا يتخبطون، فتارة يقولون: (هو شعر)، وتارة: (قول كاهن)، وتارة: (أساطير الأولين)، لا يثبتون على شيء؛ لأنهم يعلمون أنه ليس كما يقولون، وما كان لهم ليغفلوا عن صفة الشعر ولا صيغة النثر، وهم أهل ذلك وعباقرته، وإنما شأنهم شأن من قال الله فيهم: (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً).

النوع الثاني: الإعجاز الإخباري:

وهذا هو الإعجاز فيما تضمنه القرآن من الأنباء، وهو أربعة أشياء: **أولها:** الإخبار عن الغيب المطلق، كالخبر عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته، والملائكة، وصفة الجنة وصفة النار.



وقد أتى القرآن في هذا الأمر بما لا يدركه بشر من تلقاء نفسه، إذ طريقه لا يكون من جهة العقول، إنما طريقه السمع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وثانيها: الإخبار عن الأمور السابقة، كالخبر عن بدء الخلق، وعن الأمم السالفة.

وقد قص علينا القرآن من ذلك عجبا، وأتى من الأنباء بما لم يملك المنصفون من أهل الكتاب والعلم إلا تصديقه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 114].

وثالثها: الإخبار عما يكون في مستقبل الزمان، كالإخبار عن الشيء قبل وقوعه في عهد النبي ﷺ، أو عما سيكون بعد ذلك.

كما في قوله عز وجل: ﴿الْم * غَلَبَتِ الرُّوم * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 1-5].

ورابعها: الإخبار عما تكنه النفوس وتخفيه الضمائر، مما لا يمكن أن يعلمه إلا الله، ولا يصل إلى علم النبي ﷺ إلا بوحي الله. كالذي تراه في سورة التوبة من ذكر أسرار المنافقين، حتى خاف الناس أن ينزل القرآن بأسمائهم يظهر حقائق ما في نفوسهم.

النوع الثالث: الإعجاز التشريعي:

ويكمن فيما أودع الله في كتابه من القوانين التي تشهد في استقامتها وعدلها وصلاحها لكل زمان أنها من عند الله، وأن لا طاقة للخلق أن يوجدوا لها نظيرا،



مهما بلغت العقول.

ذلك أن التشريع مبني على تحقيق مصالح العباد في الدارين، ولا يحيط بتلك المصالح أحد من خلق الله؛ لقصور العلم، والنقص بالطبع، لكن الله سبحانه هو الخالق، فهو أعلم

بخلقه وحاجتهم وما يكون به صلاحهم وفسادهم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

فلذا جاء تشريعه موصوفاً بالحسن المطلق وبالحق المطلق، كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

النوع الرابع: الإعجاز العلمي:

وذلك فيما بين الله في هذا الكتاب ودل عليه من الآيات في السماوات والأرض والأنفس، مما لم يكن ليحيط به علم بشر في عهد النبي ﷺ من تلقاء نفسه، ثم يبقى الناس يكتشفون أسرارها في الكون، والقرآن قد سبق به منذ دهر بعيد تصريحاً وتلويحاً، كان يتلوه على الناس نبي أمي، لم يدرس علوم الفضاء ولا البيئة ولا البحار ولا طبقات الأرض ولا الأجنة، لينبئ العالم أنه رسول رب العالمين، وأن هذا القرآن من علم الله الذي أحاط بكل شيء⁽¹⁾.

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم (273)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (19).





رسم المصحف

الأصل في المكتوب أن يطابق المنطوق، إلا أننا نجد مخالفة لهذا الأصل ليس في الكتابة العربية فحسب بل حتى في اللغات الأجنبية، فمن الحروف ما ينطق ولا يكتب، ومنها ما يكتب ولا ينطق.

وكتابة القرآن في المصاحف نوع من أنواع الكتابة التي يخالف نطقها كتابتها في بعض المواضع.

ولا شك أن الرسم الإملائي كان معروفاً قبل نزول القرآن الكريم، وقد حرص الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** على كتابة المصحف بطريقة تمنع من يتلو النص القرآني من الوقوع في اللحن بسبب خلوه من رموز الحركات واشتراك بعض الحروف في رمز كتابي واحد فرمز الباء والتاء والثاء مثلاً هو "ب" بلا نقط.

ويبدو أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يخترعوا كتابة جديدة أو يصطلحوا على طريقة مبتكرة بل كتبوا أكثر القرآن بالطريقة السائدة للكتابة في عصرهم، وتشهد النقوش التي ترجع إلى القرن الأول الهجري أن الكتابة السائدة حينئذٍ مطابقة للصورة التي نجدها في الرسم العثماني إلا أن اتساع استخدام الكتابة العربية في القرون الهجرية الأولى أظهر الحاجة الماسة إلى تطوير الكتابة لتكون أكثر تحديداً وضباطاً.



فلم يكن الناس عند كتابة المصحف يجدون فرقًا كبيرًا بين كتابتهم وما يجدونه في المصحف وكان الصحابة ومن وافقهم من التابعين وتابعيهم يوافقون الرسم المصحفي في أكثر ما يكتبون ولو لم يكن قرآنًا ولا حديثًا واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء اللغة في البصرة والكوفة وأسسوا فن الكتابة ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية وسموها على الخط القياسي أو الاصطلاحي المخترع وسموا رسم المصحف بالخط المتبع. وكلما تقدم الزمن ازدادت الحاجة إلى توحيد قواعد الكتابة وضبطها.

إلا أن العلماء المسلمين بتوفيق الله لهم أبقوا رسم المصحف على الكتابة الأولى صيانة للقرآن من أن يتعرض للتغيير والتبديل بين حين وآخر مما قد يؤدي إلى وقوع الخطأ والتحريف والتبديل.

وقد أدى هذا الأمر إلى الاختلاف النسبي بين كتابة المصحف والكتابة الإملائية المعروفة مما دعا علماء القراءات والرسم إلى تأليف كتب تشرح هذه الاختلافات، وتستنبط قواعد رسم المصحف، وتضبط كيفية كتابة الكلمات، وكانت مؤلفاتهم بين دراسة منهجية عامة تعنى بضبط القواعد والأصول، ودراسة تطبيقية تتبع الكلمات القرآنية حسب ترتيب السور والآيات فتبين طريقة رسمها، فظهر علم رسم المصحف.

تعريف الرسم العثماني: الوضع الذي ارتضاه الصحابة في عهد عثمان **رضي الله عنه** في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه.



فوائد ومزايا رسم المصحف :

الفائدة الأولى: اشتمال هذا الرسم في جملته على القراءات الصحيحة، ولهذا اشترط علماء القراءات لصحة القراءة موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً.

وعلى هذا فإذا كان في الكلمة الواحدة أكثر من قراءة فإنها ترسم بوجه يحتمل هذه القراءات أو أكثرها.

الفائدة الثانية: أن في اختلاف الرسم عن النطق حملاً للناس على تلقي القرآن من أفواه القراء والحفاظ وعدم الاعتماد على مجرد القراءة من المصحف.

ولا شك في أهمية حفظ القرآن عن طريق التلقي، وقد كان أعلام حفاظ القرآن الكريم يميزون الحفظ بالتلقي فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "حفظت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة".

ولحمل الناس على تلقي القرآن مشافهة مزايا، منها: التوثق من النطق الصحيح لألفاظ القرآن الكريم، وطريقة الأداء، وحسن الترتيل، وإتقان التجويد، وإخراج الحروف من مخارجها، فإن ذلك كله لا يمكن تحقيقه عن طريق الكتابة وحدها، إذ لا يمكن معرفة الروم، والإشمام، والتسهيل، والتحقيق، والتفخيم والقلقلة، والإدغام، والإخفاء إلا عن طريق السماع الصوتي من معلم متابع مصغ.



ومنها اتصال السند برسول الله ﷺ فإذا كان كل مسلم يتلقى القرآن عن معلم فإن السند سينتهي بالمعلم الأول عليه الصلاة والسلام عن جبريل عن ربه.

طريق معرفة رسم المصحف:

اختلف العلماء رَحْمَهُمُ اللَّهُ في طريق معرفة رسم المصحف هل هو توقيفي أو اجتهادي:

القول الأول: أن رسم المصحف توقيفي: وذلك أن الكتاب الوحي كانوا يكتبون القرآن بين يدي الرسول ﷺ ويقرهم عليه. واتفق الصحابة على التزام هذا الرسم وإقرارهم لرسم المصحف في عهد أبي بكر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

القول الثاني: أن رسم المصحف اصطلاحي: ويرى أصحاب هذا القول أن رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي، كتبه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالطريقة التي كانوا يكتبون بها سائر من غير نص من الرسول ﷺ، وقال بهذا الرأي عدد من العلماء كابن خلدون والباقلاني وابن قتيبة وغيرهم وهو الراجح.

حكم التزام الرسم العثماني:

اختلف العلماء في حكم التزام الرسم العثماني إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: وجوب التزام الرسم العثماني وتحريم مخالفته. وهو مذهب



جمهور العلماء من السلف والخلف، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك وأقوال العلماء ونصوصهم في ذلك كثيرة ومنها أن الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ** سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا. إلا على الكتابة الأولى.

القول الثاني: جواز كتابة القرآن بالرسم الإملائي الحديث: وممن ذهب إلى هذا القول الباقلاني وابن خلدون وعدد من المعاصرين، **واستدلوا بأدلة منها:**

1- أن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات فكل رسم يدل على الكلمة ويفيد وجه قراءتها فهو رسم صحيح وكاتبه مصيب.

2- أن كتابة المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في لبس وحيرة، ومشقة وحرَج، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة السليمة وكتابة القرآن بالرسم الحديث فيه تيسير على الناس ورفع للحرَج والمشقة.

3- ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في إجماع الأمة ما يوجب التزام الرسم العثماني.

القول الثالث: جواز كتابته بالرسم الإملائي للتعليم، مع الإبقاء على الرسم العثماني في المصاحف والمحافظة عليه للعلماء والخاصة.

ومال إلى هذا الرأي الشيخ العز بن عبد السلام والزرکشي رحمهما الله تعالى. والقول الأول هو الراجح ⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق.





معنى النسخ:

النسخ في اللغة: يطلق النسخ في اللغة ويراد به معنيان.

1- النقل: أي نقل الشيء وتحويله من حالة إلى حالة مع بقاءه في نفسه، ومنه: نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه.

2- الإزالة: بمعنى رفع الشيء وإعدامه، ومنه: نسخت الشمس الظل إذا أزالته، ونسخت الريح آثار القدم أي أعدمته.

وفي الاصطلاح: عرف الأصوليون والفقهاء النسخ بقولهم: رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي متراخ عنه. أي رفع استمرار العمل بالحكم السابق، والعمل بالحكم الثابت آخره.

جواز النسخ:

أجمع المسلمون على جواز النسخ مطلقاً. واستدلوا على ذلك بالنقل والعقل:

أ- أما النقل: فمنه قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106] ننسها: نمحها من القلوب فهي صريحة بجواز النسخ، بل هي قد نزلت ردّاً على الذين طعنوا في الشريعة الإسلامية بوقوع النسخ فيها. **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ



أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ والتبديل هو رفع لأصل وإثبات لبدل، وهذا هو معنى النسخ. والآية صريحة في جواز ذلك، بل هي تنكر على من يتهم الرسول ﷺ بالكذب بسبب وقوع ذلك في شرعه.

وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على جواز النسخ.

ب- وأما العقل: فهو أن العقل لا يمنع جوازه بل يقتضيه. وذلك لأن الله تعالى يشترع الأحكام لتحقيق مصالح العباد، ومصالح العباد قد تختلف باختلاف الأزمان، وليس مما يمنعه العقل أن يعلم الله تعالى المصلحة في عمل في زمن من الأزمان ويعلم عدم المصلحة فيه في زمن آخر، وعلم الله تعالى في الحالتين قديم، فيأمر به في الزمن الأول وينهى عنه في الزمن الآخر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمصالح العباد.

وقوع النسخ في القرآن الكريم:

لقد ثبت عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين القول بوقوع النسخ في القرآن الكريم، **ولذلك قالوا:** لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلا بعد أن يعرف الناسخ منه والمنسوخ، ولم يقبلوا قول من جهل النسخ فيه أو أنكره، بل شددوا النكير عليه.

أنواع النسخ في القرآن:

والمراد بأنواع النسخ من حيث رفع الحكم أو التلاوة أو رفعهما معا، وهو

على هذا ثلاثة أنواع:



النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم معا، وذلك بأن يبطل العمل بالحكم الثابت بالنص، إلى جانب حذف النص من القرآن، وعدم إعطائه حكم التلاوة من حيث صحة الصلاة به والتعبد بتلاوته، وبالتالي عدم إثباته في المصحف حين جمع القرآن.

ومثال هذا النوع: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان فيما أنزل من القرآن: "عشر رضعات معلومات يحرم من، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهنّ فيما يقرأ من القرآن".

النوع الثاني: نسخ الحكم فقط وبقاء التلاوة، أي إنه يبطل العمل بالحكم الثابت بالنص، مع بقاء النص مما يتلى من القرآن ويتعبد بتلاوته، ويثبت بين دفتي المصحف.

ومثال هذا النوع: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: 240]. فإن هذه الآية مثبتة في المصحف، وتلاوتها متواترة على أنها قرآن يتعبد بتلاوتها وتصحح بها الصلاة، مع أن الحكم الثابت بها، وهو وجوب التبرّص حولا كاملا لمن توفي عنها زوجها، منسوخ، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234].

فقد أوجبت على المتوفى عنها زوجها أن تعتدّ أربعة أشهر وعشرة أيام، وقد ثبت أنها متأخرة بالنزول عن الأولى، فدلّ ذلك على أن حكم الأولى منسوخ، وإن بقيت تلاوتها.



النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، أي إن الحكم الثابت بالنص يبقى العمل به ثابتا ومستمرا، وإنما يجرد النص عما يثبت للقرآن المتلو من أحكام، كالتعبد بتلاوته وصحة الصلاة به وغير ذلك، ولا يثبت في المصحف.

ومثال هذا النوع: عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنهما قالا: كان فيما أنزل من القرآن: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم".

والمراد بالشيخ والشيخة الثيب من الرجال والنساء، وهذا الحكم، وهو رجم الثيب من الرجال والنساء إذا زنى ثابت ومحكم ومعمول به. علما بأن هذه الآية لم يبق لها وجود بين دفتي المصحف ولا على ألسنة القراء، ولا تجوز بها الصلاة، ولا يتعبد بتلاوتها.

ما لا بد منه في النسخ:

ولا بد من تحقق النسخ من أمور أربعة:

أولها: أن يكون المنسوخ حكما شرعيا.

ثانيها: أن يكون دليل رفع الحكم دليلا شرعيا.

ثالثها: أن يكون هذا الدليل الرافع متراخيا عن دليل الحكم الأول غير متصل به كاتصال القيد بالمقيد والتأقيت بالمؤقت.

رابعها: أن يكون بين ذينك الدليلين تعارض حقيقي.



الفرق بين النسخ والتخصيص:

قد عرفنا النسخ بأنه: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي، وقد عرّفوا التخصيص بأنه: قصر العام على بعض أفراد، وبالنظر في هذين التعريفين نلاحظ أن هناك تشابهاً قوياً بين المعرفين، فالنسخ فيه ما يشبه تخصيص الحكم ببعض الأزمان، والتخصيص فيه ما يشبه رفع الحكم عن بعض الأفراد، ومن هذا التشابه وقع بعض العلماء في الاشتباه فمَنهم من أنكر وقوع النسخ في الشريعة، زاعماً أن كل ما نسميه نحن نسخاً فهو تخصيص، ومنهم من أدخل صوراً من التخصيص في باب النسخ، فزاد بسبب ذلك في عداد المنسوخات من غير موجب⁽¹⁾.

(1) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو (139)، الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن محمد أيوب (1429هـ) (108).





تعريف علم القراءات:

فهو: علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً أو اختلافاً مع عزو كل وجه لناقله، أو "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله".

موضوعه:

كلمات القرآن الكريم من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

استمداده:

النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات إلى رسول الله ﷺ.

حكمه:

فرض كفاية تعلمًا وتعليمًا.

ثمرته وفائدته:

العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل إمام من الأئمة القراء، والتمييز بين ما يقرأ به، وما لا يقرأ به.



مكانته :

علم القراءات من أجل العلوم قدرًا، وأعلىها منزلة، لاتصاله بأشرف الكتب السماوية وأفضلها على الإطلاق، وهو القرآن الكريم، وشرف العلم من شرف المعلوم.

نشأة علم القراءات :

ليس هناك تاريخ مقطوع به عند العلماء لنزول القراءات، فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل أول ما نزل في غار حراء قبل الهجرة بنحو ثلاث عشرة سنة، أما القراءات نفسها فاختلف العلماء في بدايتها **على قولين:**

الأول: أنها نزلت في مكة المكرمة؛ لأن الآيات منه ما هو مكّي ومنها ما هو مدني، وفي المكّي ما في المدني من تعدد القراءات. ولا دليل على نزول القراءات المكية في المدينة وانفرادها بالنزول؛ فتبقى على الأصل.

ويدل على ذلك حديث اختلاف عمر مع هشام بن حكيم **رضي الله عنهما**؛ لأنهما اختلفا في قراءة سورة الفرقان، وهي مكّية، فدل على أن نزول القراءات كان في مكة أيضًا.

الثاني: أنها نزلت في المدينة النبوية؛ لأن القراءات نزلت للتيسير على الأمة؛ بسبب اختلاف اللهجات، ولم تكن الحاجة إليها قائمة إلا بعد الهجرة؛ لدخول القبائل المجاورة والبعيدة في الإسلام، وغموض بعض الألفاظ التي لاهجتها.



ولأن اختلاف الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في القراءات كان في المدينة ولم يثبت شيء من ذلك في مكة.

وهناك من جمع بين القولين؛ بأن بداية نزول القراءات كان بمكة مع بداية نزول القرآن، لكن الحاجة لم تدع إلى استخدامها، لوحدة اللغة في مكة وما جاورها "لسان قريش"، واختلاف اللهجات إنما حدث بعد الهجرة في المدينة حين دخلت في الإسلام قبائل متعددة بلهجات مختلفة.

أقسام القراءات

تنقسم القراءات من حيث القبول والرد إلى قسمين: قراءة مقبولة، وقراءة مردودة.

القراءة المقبولة: هي كل قراءة صح سندها، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، ووافقت أحد أوجه العربية.

ضوابط القراءة المقبولة:

- 1 - صحة السند.
 - 2 - موافقة اللغة ولو بوجه.
 - 3 - موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.
- فحيث تحققت هذه الضوابط في قراءة فهي صحيحة مقبولة ، وإلا كانت مردودة أو شاذة بقطع النظر عن نسبت إليه هذه القراءة.



القراءة المردودة: هي كل قراءة اختلف فيها أحد ضوابط القراءة المقبولة.

أقسام القراءة المردودة:

- 1- **القراءة الأحادية** التي لا وجه لها في العربية، وهي القراءة التي صح سندها، وخالف رسم المصحف أو العربية، أو كليهما ولم تشتهر.
- 2- **القراءة الشاذة**، وهي القراءة التي لم يصح سندها، أو خالف الرسم أو لا وجه لها في العربية.
- 3- **القراءة المدرجة**، وهي العبارة التي زيدت بين الكلمات القرآنية على وجه التفسير، أو قل التي زيدت في القراءات على وجه التفسير.
- 4- **القراءة الموضوعية**، وهي القراءة التي نسبت إلى قائلها من غير أصل، أو هي المكذوبة المختلقة المصنوعة المنسوبة إلى قائلها افتراء.





مدارس القراءات وأشهر رجالها

- 1- مدرسة القراءات في الحجاز وأشهر رجالها.
- 2- مدرسة القراءات في العراق وأشهر رجالها.
- 3- مدرسة القراءات في الشام وأشهر رجالها.
- 4- مدرسة القراءات في مصر وأشهر رجالها.
- 5- مدرسة القراءات في الأندلس وأشهر رجالها.

مدرسة القراءات في الحجاز وأشهر رجالها.

أشهر مشايخ الحجاز في القراءات:

- 1- أبي بن كعب (30هـ).
- 2- عثمان بن عفان (35هـ).
- 3- زيد بن ثابت (45هـ).
- 4- أبو هريرة (59هـ).
- 5- عبد الله بن عياش (64هـ).
- 6- عبد الله بن عباس (68هـ).
- 7- عبدالله بن السائب (68هـ).
- 8- مجاهد بن جبر (103هـ).
- 9- عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (117هـ).
- 10- عبد الله بن كثير (120هـ).
- 11- شيبة بن نصاح (130هـ).
- 12- أبو جعفر القارئ (130هـ).
- 13- نافع المدني (169هـ).



أشهر تلامذة مدرسة الحجاز في القراءات:

- 1- قالون (220هـ). 2- البزي (250هـ).
- 3- قنبل (291هـ). 4- إسحاق بن أحمد (308هـ).
- 5- المطوعي (371هـ). 6- أبو عبدالله الكارزيني (440هـ).
- 7- أبو معشر الطبري (478هـ). 8- عبد القاهر بن عبدالسلام المكي (493هـ).
- 9- الحسن بن عبدالله (547هـ). 10- ابن مسدي (663هـ).
- 11- أبو محمد الدلاصي (721هـ). 12- ابن صالح المدني (785هـ).
- 13- أبو منصور الشيباني الطبري (841هـ).
- 14- إبراهيم بن علوي (938هـ). 15- الملا علي القاري (1014هـ).
- 16- عبدالله باقشير (1076هـ). 17- أحمد النخلي (1130هـ).
- 18- أحمد المرزوقي (1262هـ).
- 19- الشيخ محفوظ بن عبدالله الترمسي (1338هـ).
- 20- الشيخ حسن الشاعر (1400هـ).

مدرسة القراءات في العراق وأشهر رجالها.**أشهر مشايخ العراق في القراءات:**

- 1- عبد الله بن مسعود (32هـ). 2- علي بن أبي طالب (40هـ).
- 3- أبو موسى الأشعري (44هـ). 4- أبو عبد الرحمن السلمي (74هـ).
- 5- الأسود بن يزيد (75هـ). 6- عاصم بن أبي النجود (127هـ).



- 7- أبو عمرو بن العلاء (154هـ). 8- حمزة بن حبيب الزيات (156هـ).
9- حفص بن سليمان الأسدي (180هـ). 10- علي بن حمزة الكسائي (189هـ).
11- أبو بكر بن عياش (193هـ). 12- يعقوب الحضرمي (205هـ).
13- خلف بن هشام البزار (229هـ). 14- أبو عمر الدوري (246هـ).
15- أبو شعيب السوسي (261هـ).

أشهر تلامذة مدرسة العراق في القراءات:

- 1- عبد الرحمن بن عبدوس (283هـ). 2- أحمد بن فرح (303هـ).
3- أبو بكر بن مجاهد (324هـ). 4- أبو طاهر بن أبي هاشم (349هـ).
5- أبو الحسن الحمامي (417هـ). 6- يحيى بن أحمد السبيعي (490هـ).
7- أبو الكرم الشهرزوري (550هـ).
8- عبد العزيز بن أحمد بن الناقد (616هـ).
9- عبد الصمد بن أبي الجيش (676هـ).
10- الإمام أبو بكر المقصاتي (713هـ). 11- ابن القاصح (801هـ).

مدرسة القراءات في الشام وأشهر رجالها.

أشهر مشايخ الشام في القراءات:

- 1- أبو الدرداء (32هـ).
2- المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (91هـ).



- 3- ابن عامر اليحصبي (118هـ). 4- يحيى الذماري (145هـ).
5- أيوب بن تميم (198هـ). 6- ابن ذكوان (242هـ).
7- هشام بن عمار (245هـ).

أشهر تلامذة مدرسة الشام في القراءات:

- 1- هارون الأخفش (292هـ). 2- محمد الربيعي الأخرم (341هـ).
3- علي بن داود القطان (402هـ). 4- رشأ بن نظيف (444هـ).
5- سبيع بن مسلم بن قيراط (508هـ).
6- علم الدين السخاوي (643هـ).
7- عبد السلام بن علي الزواوي (681هـ).
8- حسين بن سليمان المعدل (719هـ).
9- أبو عبد الله الذهبي (748هـ). 10- أبو العباس الكفري (776هـ).
11- أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (833هـ).
12- الشيخ أحمد بن أحمد الطيبي (979هـ).
13- الشيخ علي بن محمد الطرابلسي (1032هـ).
14- الشيخ إبراهيم الحافظ (1186هـ).
15- الشيخ أحمد بن علي محمد الحلواني (1307هـ).
16- العلامة الشيخ عبد العزيز عيون السود (1399هـ).
17- العلامة حسين خطاب (1408هـ).



مدرسة القراءات في مصر وأشهر رجالها.**أشهر مشايخ مصر في القراءات:**

1- عثمان بن سعيد ورش (197هـ). 2- أبو يعقوب الأزرق (240هـ).

أشهر تلامذة مدرسة مصر في القراءات:

- 1- أبو بكر بن سيف (307هـ).
- 2- إبراهيم بن محمد بن مروان أبو إسحاق (363هـ).
- 3- طاهر بن غلبون (399هـ). 4- أبو عبد الله القزويني (453هـ).
- 5- يحيى بن علي المشهور بابن الخشاب (504هـ).
- 6- الشريف الخطيب (563هـ). 7- الشاطبي (590هـ).
- 8- أبو الجود اللخمي (605هـ). 9- تقي الدين الصائغ (725هـ).
- 10- رضوان العقبي (852هـ). 11- زكريا الأنصاري (926هـ).
- 12- سلطان المزاحي (1075هـ). 13- أبو الإكرام البقري (1111هـ).
- 14- العلامة الطباخ (1250هـ). 15- العلامة المتولي (1313هـ).
- 16- العلامة الضباع (1376هـ). 17- العلامة عبد الفتاح القاضي (1403هـ).
- 18- الشيخ عامر السيد عثمان (1408هـ).



مدرسة القراءات في الأندلس وأشهر رجالها.

أشهر مشايخ الأندلس في القراءات:

- 1- غازي بن قيس (199 هـ).
- 2- ابن وضاح (287 هـ).
- 3- علي بن محمد بن إسماعيل (377 هـ).
- 4- أبو عمر الطلمنكي (429 هـ).
- 5- مكي بن أبي طالب (437 هـ).
- 6- أبو عمرو الداني (444 هـ).

أشهر تلامذة مدرسة الأندلس في القراءات:

- 1- أبو جعفر بن الباذش (540 هـ).
- 2- أبو بكر اللخمي الأندلسي (634 هـ).
- 3- أبو جعفر ابن الزبير (708 هـ) ⁽¹⁾.

(1) علم القراءات نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية، (161)، د. نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل.





الترجمة لغة: تطلق على معانٍ ترجع إلى البيان والإيضاح.

وفي الاصطلاح: التعبير عن الكلام بلغة أخرى.

وترجمة القران: التعبير عن معناه بلغة أخرى والترجمة نوعان:

أحدهما: ترجمة حرفية، وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بإزائها.

الثاني: ترجمة معنوية، أو تفسيرية، وذلك بأن يعبر عن معنى الكلام بلغة أخرى من غير مراعاة المفردات والترتيب.

والترجمة المعنوية: أن يترجم معنى الآية كلها بقطع النظر عن معنى كل كلمة وترتيبها، وهي قريبة من معنى التفسير الإجمالي.

حكم ترجمة القرآن:

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم، وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحقيقها معها وهي:

أ- وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بإزاء حروف اللغة المترجم منها.

ب- وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة

للأدوات في اللغة المترجم منها.



ج- تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات.

وقال بعض العلماء: إن الترجمة الحرفية يمكن تحقيقها في بعض آية، أو نحوها، ولكنها وإن أمكن تحقيقها في نحو ذلك - محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله، ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن العربي المبين، ولا ضرورة تدعو إليها؛ للاستغناء عنها بالترجمة المعنوية.

وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنت حسا في بعض الكلمات فهي ممنوعة شرعا، اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة من يخاطبه ليفهمها، من غير أن يترجم التركيب كله فلا بأس.

وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل لأنه لا محذور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية، لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

لكن يشترط لجواز ذلك شروط:

الأول: أن لا تجعل بديلا عن القرآن بحيث يستغني بها عنه، وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة، لتكون كالتفسير له.

الثاني: أن يكون المترجم عالما بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها، وما تقتضيه حسب السياق.



الثالث: أن يكون عالما بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن. ولا تقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها، بحيث يكون مسلما مستقيما في دينه⁽¹⁾.

(1) أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (1421هـ) (31).





تعريف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحاً :

الأحكام لغة: الإتقان البالغ، ومنه البناء المحكم الذي أتقن فلا يتطرق إليه الخلل أو الفساد.

وأما المتشابه: فهو في أصل اللغة: من الشبه وهو التماثل بين شيئين أو أشياء. ولما كان التماثل بين الأشياء يؤدي إلى الشك والحيرة، ويوقع في الالتباس توسعوا في اللفظ، وأطلقوا «متشابه» و «مشتبه» على كل ما غمض ودق.

المحكم والمتشابه اصطلاحاً :

المحكم: هو الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال.

والمتشابه: هو الذي طرأ عليه خفاء في المعنى المراد منه.

هل يمكن تفسير المتشابه :

وبالنظر لغموض المتشابه وخطورة البحث فيه لكونه بحثاً في كلام الله تعالى اختلفت الآراء فيه، هل هو مما يمكن الاطلاع على علمه، أو لا يمكن الاطلاع على علمه، ولا يعلمه إلا الله.

وقد أرجعوا السبب في هذا الاختلاف إلى الاختلاف في آية آل عمران وقوله



تعالى فيها: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾ [آل عمران: 7].

فذهب بعض أهل العلم إلى أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه، وفسروا الآية على أن قوله وَالرَّاسِخُونَ معطوف على قوله إِلَّا اللَّهُ وقوله يَقُولُونَ في محل نصب حال، ولا يقف هؤلاء على لفظ الجلالة الله، بل على قوله رَبَّنَا. والمعنى أن الله هو الذي يعلم تأويله وكذا الراسخون في العلم حال كونهم قائلين آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وتكون الآية دالة على أن الراسخين في العلم أي الثابتين المتمكنين فيه يعلمون تأويله.

وذهب كثير من أئمة العلماء المتقدمين والمتأخرين إلى أن المتشابه لا يطلع على علمه إلا الله تعالى، واستدلوا بالآية نفسها كذلك وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ نهاية الكلام السابق والوقوف في القراءة عليه.

وقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ، وجملة يَقُولُونَ في محل رفع خبر.

والمعنى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ثم استأنف، ويقول: الراسخون في العلم آمنّا به كل من عند ربنا، أي كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا تبارك وتعالى، لا نفرق بينهما في الإيمان والخضوع، وكل واحد منهما يصدق الآخر، وليس شيء من عند الله بمختلف ولا بمتناقض⁽¹⁾.

(1) علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي (133).



أقسام التشابه :

والتشابه في بعض آيات القرآن الكريم ثلاثة أنواع:

الأول: التشابه من جهة اللفظ:

وهو ما كان خفاء معناه ناشئاً من جهة اللفظ وهو نوعان:

أ- تشابه لفظي يرجع إلى المفردات:

إما لغرابتها وقلة استعمالها مثل: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، وكقوله: ﴿فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: "لا أدري ما الأواه وما الغسلين".

وإما لجهة الاشتراك اللفظي كالقراء في قوله: ثَلَاثَةٌ قُرُوءٌ؛ حيث يطلق على الحيض والطهر، ومثل عسعس في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ فإنه يطلق على إقبال الليل وإدباره.

ب- تشابه لفظي يرجع إلى التركيب للألفاظ وهي الجمل:

وهو ثلاثة أقسام: أحدها: لاختصار الكلام كقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾، والمعنى ألا تقسطوا في اليتامى إذا تزوجتموهن.

ثانيها: بسط الكلام. كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ففي ذكر الكاف بسط للكلام، ولو قال ليس شيء لظهر المعنى، فاشتبه المراد بذكرها مع ظهور



المعنى بدونها.

ثالثها: نظم الكلام كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا﴾، فجاءت جملة: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ فاصلة بين الصفة والموصوف وأصل الكلام: أنزل على عبد الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا. وكقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، ففصل بين المصدر ومعموله وأصل الكلام وإنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر.

الثاني: التشابه من جهة المعنى:

ويتعلق هذا النوع بالغيبيات؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يتصور ما غاب عن حواسه على حقيقته، فالتخيل والتصور عنده لا يبتعد عن المحسوسات، فلا تدرك 1 صفات الله تعالى ولا ما في الجنة من النعيم، ولا ما في النار من عذاب إلا على سبيل التقريب.

الثالث: التشابه من جهة اللفظ والمعنى:

وهو خمسة أنواع:

- الأول:** من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾.
- الثاني:** من جهة الكيفية كالوجوب والندب، كقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾.
- الثالث:** من جهة الزمان؛ كالناسخ والمنسوخ؛ نحو قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾



حَقُّ ثُقَاتِهِ ❖.

الرابع: من جهة المكان؛ كقوله تعالى: ❖ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ❖ وكقوله: ❖ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ❖ فإن من لا يعرف عادة أهل الجاهلية في ذلك يتعذر عليه تفسير هذه الآية.

الخامس: من جهة الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح.

قال الراغب الأصفهاني: بعد ذكره لهذه الأقسام "وهذه الجملة إذا تصورت، علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم".

معرفة المتشابه :

اختلف العلماء في المتشابه؛ هل يمكن معرفته أم لا؟ والحقيقة أنه ينقسم من حيث إمكانية معرفته وعدمها إلى **ثلاثة أنواع هي:**

الأول: المتشابه الحقيقي: وهذا النوع لا يعلمه أحد من البشر، ولا سبيل للوقوع عليه؛ كوقت قيام الساعة، وحقيقة الروح وغير ذلك من الغيبات التي اختص الله بعلمها.

الثاني: المتشابه الإضافي: وهو ما اشتبه معناه لاحتياجه إلى مراعاة دليل آخر، فإذا تقصى المجتهد أدلة الشريعة وجد فيها ما يبين معناه؛ كالألفاظ



الغريبة، والأحكام الغليظة، والتي تحتاج إلى استنباط وتدبر، وبعض مسائل الإعجاز العلمي.

الثالث: المتشابه الخفي: وهو ضرب متردد بين الأمرين، يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه في دعوة الرسول ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" (1).

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم (390).





طريقة القصص في القرآن :

لما كانت القصة في القرآن تهدف إلى مقاصد دينية وإيمانية كانت طريقة القصص في القرآن متميزة عن المألوف في هذا الفن، لكي يتلاءم أسلوب عرض القصة مع الوفاء بحق الغرض الذي سيقى لأجله، **ومن أبرز سمات طريقة**

القرآن في القصص ما يلي:

أولاً: القصة لا ترد في القرآن بتمامها دفعة واحدة، بل يقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق القصة لأجله، كما يكفي بالجملة من الآية أو شطر البيت من الشعر للاستشهاد به. وهذا الجزء الذي يذكر إنما يذكر بالحدود الملائمة للغرض كذلك.

فقصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون في سورة غافر وردت في جو كأنه جو معركة، لأن فيها بيان الصراع بين الحق والباطل، والمعركة بين الإيمان والكفر، فتذكر السورة من القصة ما يلائم ذلك: محاولة قتل موسى، والتفكير بقتل «أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم». ثم ظهور الرجل المؤمن بين قوم فرعون يكتنم إيمانه فينصر موسى ويدافع عنه، واحتيال فرعون للتهرب من دلائل الحق وبراهينه إلى أن تأتي نهايته بالهلاك والعذاب الأليم. وبحفظ الله تعالى لهذا



المؤمن الحكيم. فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .. فكان الختام ملائماً لجو السورة، كما أنه في الوقت نفسه ختام فني رائع ذلك المشهد الذي يبرز فيه فرعون وقومه قد أحاط بهم سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ...

ثانياً: استخراج التوجيهات والعظات، والإعلان بها في ثنايا القصة وختامها، مما توحى به القصة من العبر والدروس.

ففي قصة لقمان مثلاً: وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. يأتي البيان القرآني بتعقيب على هذه الموعظة بقوله تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه ... الآيات .

فهذا بعد وصية لقمان الأولى ليس من كلام لقمان، بل هو من كلام الله تعالى يوجهه سبحانه لعباده لمناسبة وعظ لقمان، **يحقق غرضين كبيرين:**

الأول: التأكيد على وصية لقمان لا تشرك بالله ببيان أنه أعظم الحقوق، وأنه لا يجوز التساهل إزاء قضية الإيمان وتوحيد الله تعالى لأي اعتبار، ولو كان هو حق الوالدين البالغ غاية التقديس.

الثاني: تأكيد حق الوالدين، وبيان أنه أجل حقوق العباد على الإنسان، وأقدس واجبات الإنسان تجاه الإنسان، لكنه مع ذلك لا يقاوم حق الله تعالى. وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ...



ومن ذلك ما نقرأه في ثانيا حوار موسى ومؤمن آل فرعون، فموسى يقول:
إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وهذا يشير إلى فطاعة من اتصف بذلك، وفي ثانيا كلام مؤمن آل فرعون: إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار.

ثالثاً: التكرار: والتكرار خاصة من خصائص أسلوب القرآن بصورة عامة، وهو في طريقة عرض القرآن للقصة جزء من تلك الطريقة. ولهذا نجمع بحث هذه السمة لنلخص بحثها في هذه المناسبة في فقرتين: تكرار القصة في القرآن، تكرار العبارات في القرآن.

1 - تكرار القصة في القرآن: إن إطلاق كلمة تكرار هنا فيها كثير من التسامح والتساهل، فإن تعرض القرآن لما حدث مع نبي من الأنبياء مع قومه في أكثر من موضع ليس هو تكراراً بالمعنى الحقيقي، إنما هو استشهاد بالقصة لأغراض متعددة، لذلك لا نجد القصة تعاد كما هي، وإنما يذكر الجزء المناسب للغرض والمقصد الذي اقتضى الاستشهاد بالقصة باستعراض سريع. أما جسم القصة فلا يكرر إلا نادراً، لاستنباط دروس وعبر جديدة منه مما يجعله على الحقيقة غير مكرر.

وهكذا وردت قصة آدم في ست مواضع من القرآن تثير العبر حول خطر اتباع الهوى ومخالفة أمر الله، وضعف الإنسان أو توبته وقبول توبته وهكذا.

كذلك وردت قصة إبراهيم في نحو عشرين موضعاً، تثير في كل موضع عبرة



ودرساً، في التوحيد، أو الإنابة، أو تأسيس البيت العتيق، أو الأذان في الحج .. إلى آخر ما هنالك ..

وهكذا تكررت قصة موسى، مع فرعون، ومع قومه، ومع نبي الله شعيب في مدين: ... وفي كل موضع عبرة وعظة وحكمة ودروس.

2 - تكرار العبارات في القرآن: هذا القسم من التكرار يبرز بعض خصائص

أسلوب القرآن، وأسرار بلاغته المعجزة، فتارة يكرر الجملة أو العبارة بنصها دون تغيير فيها، لما في ذلك من التأكيد، أو التهويل، أو التصوير، وكل ذلك له أثر عظيم في تعميق المعنى في النفس وصدعها عما تصر عليه. ويظهر ذلك بوضوح بالمثال الذي يتبادر للذهن أول شيء لدى ذكر التكرار، وهو سورة الرحمن التي تكرر فيها كثيراً قوله تعالى: فبأي آلاء ربكما تكذبان. فإن هذه السورة تعدد للمنكرين نعم الله عليهم ودلالة كل نعمة على وجوب الانقياد لله تعالى شكرها له، وخضوعاً لعظمته، لكنهم كفروا هذه النعم فوضعوها في غير موضعها، وكفروا بالمنعم وأشركوا به غيره فعبدوا الأوثان والشركاء، فجاءت سورة الرحمن تحاجهم وتحاقهم بإيقافهم على كل واحدة منها بالحجة الملزمة، وهكذا بالتعداد المفصل لتلك النعم والدلائل حتى ترحز المعاند عن عناده، وترسخ في أعماق النفس الشعور بوجوب شكره تعالى، فعقب ذكر كل واحدة من النعم والدلائل بهذه الآية فبأي آلاء ربكما تكذبان.

وتارة يكون التكرار مع اختلاف في نظم الجملة، أو إيجاز أو إطباب أو نحو



ذلك. وذلك يبرز سرا من أسرار إعجاز القرآن، وهو التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من أسلوب دون أن ينال تكرار المعنى من سمو الأسلوب وإعجازه، بينما لا يخلو كلام البشر في مثل هذا الحال من تفاوت بين الأسلوبين واختلاف مستوى الأداءين. وذلك من جملة تصريف البيان في القرآن الذي ذكره القرآن في مناسبات متعددة، كقوله تعالى: وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست .. وقوله: وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا.

وحقيقة التصريف: «إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به».

وبهذا التصريف المعجز حقق القرآن هدفا عظيما هو خطاب الناس كافة، من تكفيه الإشارة والموجز من القول، ومن لا يسد خلل فهمه إلا التفصيل وهكذا تنوع أسلوب القرآن.

وقد لفت هذا التصريف المعجز أنظار البلغاء وراحوا يكشفون ما في كل موقع من سر بلاغي، وإعجاز بياني، حتى في الكلمة الواحدة تختلف بها العبارة من موقع إلى موقع، ونشأ عن هذا الغرض الأخير فن جليل دقيق هو «متشابه القرآن اللفظي»، صنف فيه العلماء عدة كتب، أذكر منها كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للراغب الأصفهاني.

ومن أمثلة ذلك هذا التحليل نسوقه من الكتاب:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ



وإياهم. ❦

وقال في سورة الإسراء: ❦ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم

وإياكم. ❦

فالسؤال هنا: لم قدم في الأول: ضمير المخاطب نحن نرزقكم، وفي الثاني

ضمير الغائب: نحن نرزقهم....

والجواب عن هذا من أكثر من وجه نذكر منها ما يختص بالمعنى:

إن الآية الأولى: تحرم قتل الأولاد الذي يدفع إليه الفقر النازل فعلا بالآباء

كما قال من إملاق. فناسب لذلك تقديم ذكر الآباء لأنهم هم الذين يعانون الفقر فعلا، وهو يدفع بعضهم للتخلص من أعز شيء عليه، فكان الملائم للمقام هنا تقديم ذكر الآباء.

أما الآية الثانية: فتحرم قتل الأولاد الذي يدفع إليه خوف الفقر في المستقبل

خشية إملاق لتضاعف مسؤوليات النفقة بسبب الأولاد. فناسب لذلك تقديم ذكر الأبناء نحن نرزقهم لضمان مستقبلهم من الله وإزاحة هذا التخوف والوسواس الذي تحرك في القلب بسببهم.

أسلوب القصة الفني في القرآن:

وأسلوب القصة في القرآن جزء من أسلوبه المعجز بخصائصه العامة.

لكننا هنا نقف على جديد في الأسلوب هو تجاوب أسلوب القص الفني في



القرآن مع أحدث فنون القصة، فأنت واجد في قصص القرآن مقومات القصة الفنية من تمهيد وعرض أحداث وعقدة وحل للعقدة، ثم خاتمة ونهاية للقصة.

بل تجد في قصص القرآن ما لا يخطر على بالك، ذلك هو خصوصية المسرحية وما يسمى بالأسلوب التمثيلي، حتى إن القصة في القرآن ليتمكن أن تعرض مسرحيا دون أي تعديل فيها. وذلك ما لا يتأتى في غيره من القصص إلا أن تكون قد كتبت وأعدت إعدادا خاصا لهذا الغرض.

ومن يتأمل ما ورد في سورة غافر من قصة موسى مع فرعون وجد مصداق ذلك في تلك الآيات، فقد ذكر في هذه السورة من قصة موسى مع فرعون ما يلائم غرض السورة العام وهو معالجة قضية الحق والباطل، وبدأت أولا بهذا التمهيد:

﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم...﴾ فتهيأت الأذهان بهذا التمهيد للقصة التي جاءت بمثابة المثال التطبيقي لهذه القاعدة الكلية التي مهدت بها السورة.

ثم جاءت العقدة مبكرة- وقد تأتي في مواضع أخرى متأخرة عن مثل هذا الموقع- والعقدة: ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه...﴾ وهنا يأتي دور مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه من قبل، لكنه الآن يرى الواجب يدعوه لقولة الحق، فتصرف بما يوجبه عليه الموقف بحكمة وتبصر. ودار الحوار



وسط تشوق العقل لمعرفة النتيجة وكيف حل العقدة التي لم تتأثر بهذا المنطق السديد الحكيم، فكان الحل أخيراً بهذا الأخذ الإلهي: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ وكان بعد حل العقدة انتهاء القصة بمشهد ختامي رائع، هو مشهد أولئك الطغاة الجبارين يذوقون أليم العذاب: النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ... إلى آخر السورة وما فيها من اختصاصهم في النار ...

ونلمح في القصة خصوصيتين من خصائص فن القصص المسرحي:

الأولى: الاعتناء بفن التصوير، ويظهر هنا واضحاً في رسم الشخصيات، فشخصية موسى هي شخصية ذلك النبي الواثق بقضيته فهو يواجه تهديد فرعون باللاجوء إلى الله تعالى، وشخصية الرجل المؤمن تبدو من خلال الحوار شخصية الرجل الحكيم الذي يتبع المنطق المعقول، مع إثارة عواطف قومه بالنداء المتكرر «يا قوم .. يا قوم ..»

وشخصية فرعون تبدو بجبروتها وخبثها وإصرارها على الباطل، يقابل دعوة الحق بسفك الدماء، ويواجه المنطق المفحم بالحيلة والدهاء: يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ...

الخصوصية الثانية: حذف الثغرات بين الوقائع مما لا حاجة إليه لفهم القصة، بطريقة فنية عجيبة اخترق بها قصص القرآن أستار القرون ليأتي متلائماً مع ما يسمونه «العرض التمثيلي» الذي نما في هذا العصر إلى أبدع أسلوب



وصل إليه الأدب. فتجدنا مع قصص القرآن نتقل من مشهد إلى مشهد، كما لو كنا أمام القضية تعرض علينا صوراً. فمن مشهد إرسال موسى ودعوته فرعون، وتهديد فرعون بالقتل، إلى مشهد مجلس خاص بين فرعون وحاشيته يبرز فيه مؤمن آل فرعون حيث يدور الحوار الذي يشغل القسم الأكبر من القصة، إلى مشهد آل فرعون، وقد حاق بهم سوء العذاب في ختام القصة.

ومن تأمل سائر قصص القرآن تبين له ما عرضناه هنا، وتذوق إعجاز أسلوب القرآن في القصة، وزاد إحساسه بذلك إذا لاحظ البون الهائل بين القصة في الأدب العربي وآداب العالم في عصر نزول القرآن وما تطور إليه فيها في العصر الحديث.

وأخيراً صدق الله العظيم: وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين، ولكننا أنشأنا قروناً فتناول عليهم العمر، وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون⁽¹⁾.

(1) علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي (247).





الغريب لغة: هو البعيد عن أقاربه. أو المنفرد.

واصطلاحا: ما وقع في القرآن من الألفاظ البعيدة عن الفهم.

سمي بذلك لبعده عن ظاهر الفهم، أو لأنه كالمنفرد عن الألفاظ الأخرى القريبة للفهم.

وسبب الغرابة قد يكون لقلّة استعمال الكلمة، أو لاستعمالها في كناية أو استعارة أو مجاز، أو لقلّة علم القارئ والسامع باللغة، وهو كثير جدا، وازداد كثرة باختلاط العرب بالعجم، وبعد العهد عن عصر الصحابة رضي الله عنهم. أثر علم الغريب في التفسير:

ومعرفة هذا الفن أمر ضروري للمفسر. وإلا فلا يحل له الإقدام على تفسير كتاب الله تعالى.

ومصدر هذا العلم الأساسي هو لغة العرب، لذلك قرروا: «أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة العربية وموضوعاتها، تفسير شيء من كلام الله، - لأن الله تعالى أنزله، قرآنا عربيا- ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد المعنى الآخر ..



ومن هنا توقف بعض الصحابة في تفسير بعض الكلمات، مثل توقف عمر بن الخطاب في معنى «الأب» من قوله تعالى: وفاكهة وأبا.

قال الإمام مالك بن أنس: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا».

وقال مجاهد بن جبر الإمام التابعي المفسر: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب".

ومن خير ما يستعان به في تفسير الغريب أشعار العرب وكلامهم:

قال ابن عباس: «ما كنت أدري ما قوله: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ [الأعراف: 89] حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: "تعال أفتحك" يعني أقاضيك.

وقال أيضا: ما كنت أدري ما "فاطر السماوات والأرض" حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يعني ابتدأتها.

وكتب غريب القرآن صنفت على قسمين:

1- على الترتيب الهجائي، مثلما فعله الراغب الأصفهاني، في «مفردات القرآن» وكتاب تفسير غريب القرآن لأبي بكر الرازي، وليس كل واحد يستطيع أن يصل إلى بعض الألفاظ، ويعرف أين مكانها من خلال الترتيب الألفبائي، مثلاً: "وكل صغير وكبير مستطر" نجد أن أصل لفظة: «مستطر» من مادة: «سطر»، لكن ليس كل واحد يتقن معرفة أصل



اللفظة، فقد يشتبه عليه تقارب بعض الألفاظ فيظنها من أصل واحد؛ مثل لفظة: «مستطيرا» في قوله تعالى: "يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا"، فقد يظن القارئ أنها من مادة: «سطر»، وهي من مادة (طير).

2- على ترتيب السور، يعني الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران وهكذا.

وكل نوع من هذه التصنيفات له فوائده الخاصة، فترتيب السور.

أسهل في الرجوع لأي قارئ للقرآن؛ لأنه إذا عرف الكلمة ومكانها من كل سورة، فإنه يسهل عليه الرجوع إليها في الكتاب.

كما أن الترتيب على السور يعطي الحافظ فرصة معرفة معاني القرآن في السورة التي يقرأ فيها.

أما على الترتيب الألف بائي الذي يرجع إلى أصل الاشتقاق فإنه يفيد في ربط الصيغ والتصاريف التي تكون من مادة واحدة؛ ككلمة «وسق» وكلمة «اتسق»، فهما من مادة واحدة، وهي مادة: «وسق» بمعنى: جمع.

وفي هذا الترتيب لطائف لا تخفى على من يراجع مفردات القرآن التي سارت على هذا النحو من الترتيب، إذ يحرص بعض المؤلفين على بيان وجوه استعمال اللفظة في القرآن، كما هو الحال في كتاب الراغب الأصفهاني.

ومن أهم هذه الكتب المطبوعة:

1 - مسائل نافع ابن الأزرق لابن عباس وإجاباته عنها.



- 2 - معاني القرآن، للفراء، يحيى بن زياد (ت 207).
- 3 - غريب القرآن، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276).
- 4 - كتاب الغريبين: غريب القرآن وغريب الحديث، للهرودي: حمد بن محمد أبو عبيد (ت 401). وهو من أنفعها.
- 5 - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت 502)، وهو من أحسن ما ألفوا في هذا الباب، وهو يتصيد المعاني من السياق.
- ومن مراجع هذا العلم الأساسية كتب اللغة، اسماً، وفعلاً، وحرفاً⁽¹⁾.

(1) علوم القرآن الكريم، (255)، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (137).





ضرب الأمثال في القرآن الكريم من أساليب الصياغة الفنية الرائعة، الدالة على إعجاز القرآن، في إبراز المعاني في قالب حسن يقربها إلى الأفهام، وفي صور حية تستقر في الأذهان. وذلك بتشبيه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]. **وقال سبحانه:** ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]

تعريف المثل:

والأمثال: جمع مثل، **والمثل والمثل والمثيل:** كالشبه والشبه والشبيه، لفظاً ومعنى.

والمثل في القرآن الكريم: هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلًا.

ومثال التشبيه الصريح - الذي ذكر فيه الممثل له - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [يونس: 24].

ومثال التشبيه الضمني - الذي حذف فيه الممثل له - قوله تعالى: ﴿وَلَا



يَغْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿١٢﴾
[الحجرات: 12].

الفرق بين الأمثال والقصص:

إن بين الأمثال والقصص فارقاً كبيراً، وإن كان يجمعهما قدر مشترك من تنبيه الذهن إلى أخذ العبرة وقياس الحال على الحال.

وهذا الفارق هو: أن الأمثال لا يشترط في صحتها أن تكون واقعة تاريخية ثابتة، وإنما يشترط فقط إمكان وقوعها، حتى يتسنى للذهن تصورهما كما لو أنها وقعت فعلاً.

وليس معنى هذا أننا نشترط في الأمثال عدم صحتها في نطاق الواقع التاريخي، إذ ربما ضرب المثل بقصة واقعة، وتسمى القصة عندئذ تمثيلاً، لأنها وردت للتمثيل لا للإخبار عنها.

أهمية الأمثال في القرآن:

ومعرفة أمثال القرآن مهمة جداً، ولا بد منها للعالم المجتهد، والقارئ المعبر،

فقد أخرج البيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا



بالأمثال".

وقال الماوردي: من أعظم علم القرآن علم أمثاله. **وقد عده الشافعي** مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المبينة لاجتناب معصيته.

ويوضح عبد القاهر الجرجاني أهمية الأمثال في إبراز المعاني فيقول: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو أبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها .. فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم .. وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب وللقلوب أخلب، وإن كان وعظا كان أشفى للصدر وأدعى إلى الفكر .

نماذج من أمثال القرآن مع تحليلها :

1 - قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فُهِمٌ لَا يُرْجَعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وفي هذه الآيات مثالان يوضح الله بهما شأن المنافقين، الذين لا يجدون في



أنفسهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح، ولا يجدون في نفوسهم الجرأة ليواجهوا الحق بالإنكار الصريح، فهم يتحلون بظاهر من الدين ليكسبوا مغانمه ويتقوا مغارمه، ولكنهم يعودون في نهاية الأمر خائبين خاسرين.

ففي المثال الأول: يشبه الله تعالى حال المنافقين العجيبة الشأن بحال من استوقد ناراً ليستضيء بها، ولكنها ما كادت تضيء له ما حوله حتى انطفأت، وعاد الظلام يلفه من جديد، وبقيت نفسه في حيرة وشك وضياح.

والآية مثل ضربه الله لمن آتاه شيئاً من الهدى فأضاعه، ولم يتوصل به إلى النعيم الأبدي، وإنما بقي متحيراً ضائعاً لا يجد نفسه، وهذا يدخل تحت غمومه هؤلاء المنافقون.

وفي المثال الثاني: يشبه الله سبحانه حالهم بحال من أصابهم مطر هائل غزير، في ليلة مظلمة مليئة بوميض البرق وزمجرة الرعد، كلما أضاء لهم نور البرق مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون، وهم في هذه الحالة خائفون فزعون، إذا لمع البرق كادت أن تنخطف منه أبصارهم، وإذا قصف الرعد جعلوا أصابعهم في آذانهم من مخافته.

وكذلك المنافقون متلبسون في ظاهريهم بالإسلام الذي هو كصيب من السماء، ولكنهم يشعرون حقيقة بقلق واضطراب، ويتأرجحون بين لقاء المؤمنين وعودتهم للشياطين، بين ما يقولونه بألسنتهم وما تخفيه صدورهم، بين ما يطلبونه من هدى ونور، وما يفيئون إليه من ضلال وظلام، بين ما يريدونه



من فوائد الإسلام وثمراته، وما يخافونه من تبعاته ووظائفه وزواجره. ومن الواضح أن التمثيل هنا اتبع الطريقة القصصية في تفصيل صورته وأجزائه، وجاء مبنيًا على تشبيه مجموع حالة بمجموع حالة أخرى، دون النظر إلى مقارنة أو تشبيه أجزاء الحالين ببعضهما.

2- وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا

فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

وفي هذه الآيات مثال واضح للإنسان الذي ينحرف عن الفطرة السوية، وينقض عهد الله، وينكص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها... ذلك الإنسان آتاه الله آياته، وخلع عليه من فضله، وأعطاه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكنه انسلك من هذا كله، وانحرف عن الهدى لاتباع الهوى، والتصق بالأرض وأغراضها فاستولى عليه الشيطان، وطرد من حمى الله، وأصبح ممسوخًا كالكلب يلهث إن طورد، ويلهث إن لم يطارد.

والنبا في الآية نبا رجل من علماء بني إسرائيل، **وقيل**: هو بلعام بن باعوراء

من الكنعانيين، **وقيل**: أمية بن أبي الصلت من العرب. أوتي علم بعض كتب الله، ولكنه انسلك منها وأعرض عنها، فاتبعه الشيطان وأضله.



وقيل: إن الله تعالى ضرب هذا النبأ مثلاً لكفار بني إسرائيل، إذ علموا نبوة سيدنا محمد ﷺ، حتى إنهم كانوا يستفتحون به على المشركين، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به.

وقيل: إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله، فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعا ذليلاً للشيطان. وهذا المثل منتزع من قصة واقعة، وليس مجرد فرضية مؤلفة⁽¹⁾.

(1) الواضح في علوم القرآن (197).





فهرس المحتويات

5	 مقدمة
7	 تعريف علوم القرآن
8	 ثمرة علوم القرآن الكريم:
9	 فضله وشرفه ومكانته:
10	 فضل القرآن الكريم
12	 أهمية القرآن في حياة المسلمين:
13	 أسماء القرآن الكريم وصفاته
13	 من أسماء القرآن الكريم:
13	 ومن صفات القرآن الكريم:
14	 حكمة تعدد أسماء القرآن الكريم:
15	 خصائص القرآن الكريم
18	 نشأة علوم القرآن وتطورها
18	 في عهد الرسول ﷺ:
18	 في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:
19	 في عهد التابعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ:
20	 مدرسة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مكة:
20	 ومدرسة أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمدينة:



- ومدرسة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الكوفة: 20
- عهد التدوين 22
- الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير: 24
- الفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي 25
- نزول القرآن وجمعه 26
- الوحي: 26
- أنواع الوحي 27
- نزول القرآن 29
- النزول الجملي: 29
- النزول المفروق: 30
- النزول السنوي: 30
- أول ما نزل من القرآن: 31
- نزول القرآن على سبعة أحرف 35
- المراد بالأحرف السبعة: 35
- أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف: 35
- المراد بالأحرف السبعة: 36
- حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف: 38
- المكي والمدني 39
- ضوابط السور المكية: 40
- مميزات السور المكية: 41



43 ضوابط السور المدنية:

43 مميزات السور المدنية:

44 فوائد معرفة المكي والمدني:

46 جمع القرآن الكريم

52 أسباب النزول

52 تعريف سبب النزول:

52 طريق معرفة سبب النزول:

52 فوائد معرفة سبب النزول:

54 إعجاز القرآن الكريم

56 المراد بإعجاز القرآن الكريم:

57 مقدار المعجزة من القرآن الكريم:

57 استمرار التحدي بالقرآن الكريم:

58 أنواع الإعجاز في القرآن:

61 رسم المصحف

63 فوائد ومزايا رسم المصحف:

64 طريق معرفة رسم المصحف:

64 حكم التزام الرسم العثماني:

66 النسخ

66 معنى النسخ:

66 جواز النسخ:



- 67 وقوع النسخ في القرآن الكريم:
- 67 أنواع النسخ في القرآن:
- 69 ما لا بد منه في النسخ:
- 70 الفرق بين النسخ والتخصيص:

71 القراءات

- 71 تعريف علم القراءات:
- 71 موضوعه:
- 71 استمداده:
- 71 حكمه:
- 71 ثمرته وفائده:
- 72 مكانته:
- 72 نشأة علم القراءات:
- 73 أقسام القراءات:
- 73 ضوابط القراءة المقبولة:

75 مدارس القراءات وأشهر رجالها

- 75 مدرسة القراءات في الحجاز وأشهر رجالها.
- 76 مدرسة القراءات في العراق وأشهر رجالها.
- 77 مدرسة القراءات في الشام وأشهر رجالها.
- 79 مدرسة القراءات في مصر وأشهر رجالها.
- 80 مدرسة القراءات في الأندلس وأشهر رجالها.



ترجمة القرآن 81

81 حكم ترجمة القرآن:

المحكم والمتشابه 84

84 تعريف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحاً:

86 أقسام المتشابه:

86 الأول: التشابه من جهة اللفظ:

87 الثاني: التشابه من جهة المعنى:

87 الثالث: التشابه من جهة اللفظ والمعنى:

88 معرفة المتشابه:

القصص في القرآن 90

90 طريقة القصص في القرآن:

95 أسلوب القصة الفني في القرآن:

غريب القرآن 99

الأمثال في القرآن 103

103 تعريف المثل:

104 الفرق بين الأمثال والقصص:

104 أهمية الأمثال في القرآن:

105 نماذج من أمثال القرآن مع تحليلها:

فهرس المحتويات 109

